الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

تشكيل شخصية الأمير عبد القادر في الرواية الجزائرية
رواية الأمير لواسيني الأعرج انموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

من إعداد الطالبات :
سعـــاد زغـــدي
ســهـام زغـــدي
الحـــادة بـيـــات

إشراف الأستاذ :
أ د: علـي كربـاع

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
عبد الكريم شبرو	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	رئيسا
علي كرباع	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مشرفا ومقررا
محمد عطاالله	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مناقشا

الموسم الجامعي: 1445/1444هـ 2024/2023م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

تشكيل شخصية الأمير عبد القادر في الرواية الجزائرية

رواية الأمير لواسيني الأعرج انموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

من إعداد الطالبات :

سعـــاد زغـــدي

ســهـام زغـــدي

الحـــادة بـيـــات

إشراف الأستاذ :

أ د: علـي كربــاع

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
عبد الكريم شبرو	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	رئيسا
علي كرباع	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مشرفا ومقررا
محمد عطاالله	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مناقشا

الموسم الجامعي: 1445/1444هـ 2024/2023م

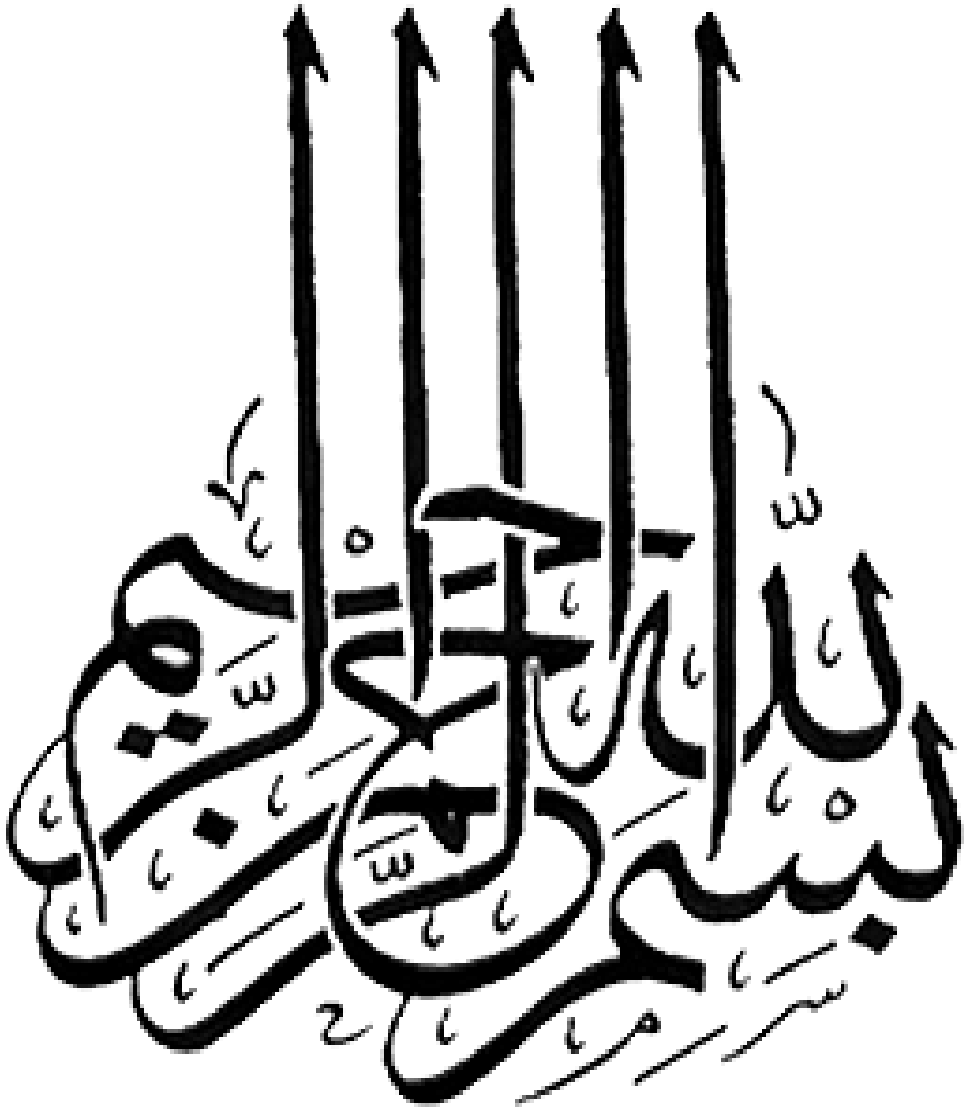
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد الله حمدا كثيرا حتى يبلغ الحمد منتهاه والصلاة والسلام على أشرف مخلوق أثاره الله بنوره واصطفاه.

نتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان للدكتور "**علي كرباع**" الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة، والذي منحنا من وقته الثمين ومن بحر معلوماته، نسأل الله أن يجازيه خير الجزاء.

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى كل يد رافقتنا في هذا العمل والشكر موصول كذلك إلى أزواجنا الذين كانوا لنا سندا في إتمام هذه المرحلة العلمية.

كما لا ننسى جميع الأساتذة والزملاء الذين تتلمذنا على أيديهم في هذه المرحلة العلمية الوجيزة وأخذنا منهم الكثير.

مقدمة

تعتبر الرواية من أهم الأجناس الأدبية، لأنها ذو طابع سردي كما أنها مجموعة من الأحداث تسرد بتتابع، وبالرغم من أن ظهورها جاء متأخرا عن باقي الأجناس الأخرى، إلا أنها تبوأت مكانة رفيعة في الأدب، بحيث شغلت فكر الأدباء والمفكرين، فأصبحت محور اهتمامهم في تلك الفترة فهي ليست نصا أدبيا فقط بل لها مكونات فنية وتقنيات سردية تختلف عن غيرها من الفنون الأدبية، كونها تجمع كل الفنون الأدبية في متنها الروائي.

وهي الوسيلة التي تدفع الكتاب للتعبير عن مكنوناتهم وعن معاناتهم وعن قضاياهم فهي السبيل الوحيد الذي يلجأ إليه كل روائي وهذا ما كان سبب اختيارنا لهذا الجنس الأدبي، وبالأخص رواية الأمير مسالك أبواب الحديد، هذا العمل الكبير من قبل الكاتب "**واسيني الأعرج**"، فهي رواية ذات طابع تاريخي والتي تعبر عن شخصية ذات شأن عظيم في تاريخ الجزائر الحديث، إنها شخصية "**الأمير عبد القادر**" بكل هالتها البطولية التي طالما كانت مبعث فخر للعرب والمسلمين وحافزا مثيرا للروح الوطنية، كما تعبر عن حوار الحضارات، ولقد تشكلت هذه الشخصية نتيجة لعوامل مختلفة محيطة بها، ومن هنا نطرح الإشكالية التالية:

ما تشكيل شخصية الأمير في كتاب الأمير لواسيني الأعرج؟

والذي تندرج تحته بعض التساؤلات:

ما صورة شخصية الأمير عبد القادر في الرواية؟

– ما علاقة الأمير عبد القادر بالمكان "المسجد، ساحة المعارك، السجن والمنفى"؟

وللإجابة على هذه التساؤلات المطروحة اتبعنا على الخطة التالية: مقدمة ثم مدخل يضم كل ما يخص الشخصية من الجانب النظري، يليه فصلين تطبيقيين الفصل الأول معنون ب: صورة شخصية الأمير عبد القادر في الرواية والذي تناولنا فيه مجموعة من العناصر «القائد العسكري، رجل الدين والأخلاق الإسلامية».

أما الفصل الثاني المعنون بـ: علاقة الأمير عبد القادر بالمكان «الأمير والمسجد، ساحة المعركة، السجن والمنفى».

وأنهينا بحثنا بملحق يضم سيرة مختصرة للأمير عبد القادر ملخص للرواية وتعريف لواسيني الأعرج وقائمة المصادر والمراجع وخاتمة تحمل أهم النتائج التي خلص إليها البحث، وبما أن الرواية تاريخية اتبعنا المنهج التاريخي وقد استعنا بآليات الوصف التي ساعدتنا على دراسة الشخصية في الرواية.

ومن أهم الدراسات السابقة التي تناولت شخصية الأمير عبد القادر أو الرواية:

– أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر مرسومة ب: الأمير عبد القادر واسهاماته في النهضة العربية بالجزائر وبلاد الشام بين النظري والتطبيقي 1832 _ 1860م من إعداد كريمة حروشوش ومذكرة مقدمة للحصول على شهادة ماستر بعنوان: الزمكانية في رواية الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج من إعداد: بوزيان وسام وبحار حليمة.

ومن أهم المصادر كتاب الأمير لواسيني الأعرج ومن المراجع سيرة الأمير عبد القادر القائد الرباني ومجاهد إسلامي لـ: علي بن محمد الصلابي.

* ولقد واجهتنا صعوبات وهي انقطاعنا عن الدراسة لفترة طويلة مع ضيق المدة الزمنية المخصصة لانجاز هذا العمل فلم يتسنى لنا فهمه واستيعابه جيدا.

وفي الأخير نتوجه بالشكر لأستاذنا الفاضل البروفيسور "**علي كرباع**" الذي كان عونا وسندا لنا طيلة هذا البحث، ونشكر مسبقا أعضاء لجنة المناقشة لتجشمهم عناء قراءة المذكرة، أثابهم الله على مجهودهم، ومسك ختامي الحمد لله، سبحانه وتعالى، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه .

مـــدخـــــــــــــل

مفاهيم عامة حول الشخصية

1ـ مفهوم الشخصية

2ـ بناء الشخصية في الرواية

3ـ أنواع الشخصيات في الرواية

4 ـ طرق تقديم شخصيات الرواية

5 ـ الشخصية التاريخية

مدخـــــل:

تعد الشخصية واحدة من الركائز المهمة التي يعتمدها المؤلف في رسم معالم بنائه السردي للخطاب الروائي أو للحكي بصفة عامة، لأنها تسهم في تطور الأحداث من خلال قيامها بالفعل اللفظي او السلوكي في إطار زماني ومكاني معين.

1ـ مفهوم الشخصية:

يقصد بالشخصية لغة: " سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، وجمعه في القلة (أشخص) وفي الكثرة شخوص وأشخاص"[1]

وفي الاصطلاح يعرف رولان بارت الشخصية:" أنها كائنات من ورق تتخذ شكلا دالا من خلال اللغة"[2] فهي سوى كائن من ورق على حد تعبيره.

تمتزج الشخصية في وصفها بالخيال الفني للروائي (الكاتب) بمخزونه الثقافي، الذي يسمح له أن يضيف ويحذف ويبالغ ويضخم في تكوينها وتصويرها، بشكل يستحيل معه أن نعتبر تلك الشخصية الورقية مرآة أو صورة (حقيقية) لشخصية معينة، في الواقع الإنساني المحيط، لأنها شخصية من اختراع الراوي فحسب.[3]

كما قدم الباحثون في مجال الرواية من أمثال ميخائيل باختين مفهوم الشخصية:" إنه ليس الوجود المعطى للشخصية ولا صورتها المعدة بصرامة هو ما يجب الكشف

---

[1] محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح مادة (شخص) – دار القلم، د.ط، بيروت، 1979، ص: 331.

[2] رولان بارت، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ترجمة منذر عيش، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، ط1، حلب (سوريا)، 1993، ص: 72

[3] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، د.ن، ط2، منقحة، 2015، ص 34

عنه وتحديده وإنما وعي البطل وإدراكه لذاته،أو بعبارة أخرى بكلمته الأخيرة حول العام وحول نفسه"[1]

فهو يرى أن الشخصية البطلة هي تعبير عن وجه نظر ورؤرية للعالم.

أما آلان "**روب غريي**" فيقول: «الروائي الحقيقي هو ذلك الذي يخلق الشخصيات»[2] فهو يميز الروائي بقدرته على اختيار الصفات النفسية والاجتماعية والإيديولوجية لشخصيات العمل الروائي الذي يكتبه.

أما "**واسيني الأعرج**" فيرى أن الشخصية هي مركز الأفكار، وهي مجال المعاني التي تدور حولها الأحداث من خلال حركتها، ومن خلال العلاقات التي تربطها ببعض الشخصية هي مجرد أحجار شطرنج يستخدمها الكاتب في لعبته الفكرية والفنية، فهي لا تستطيع أن تتحرك أو تتنفس، إلا وفقا لرعايته، فهو الذي يرسم لها قانونها الأخلاقي، ويملي عليها التصرف ضمن مضمونها الخاص.[3]

لذلك فإن وصف الشخصية يعتبر فنا في حد ذاته لا يستطيع بلوغ النجاح في أي كاتب إلا إذا كان أديبا دقيق الملاحظة، صاحب حس مرهف وقلم سيال.

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء–الزمن– الشخصية) المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1990، ص: 201.

[2] آلان روب غريي، نحو رواية جديدة ترجمة مصطفى ابراهيم مصطفى سلسلة دراسات في الآداب الأجنبية، دار المعارف، دط، مصر، دت، ص: 64.

[3] ينظر: الأعرج واسيني، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1986، ص: 87.

2- بناء الشخصية في الرواية:

ترتبط الشخصية بالأحداث في الرواية، وكل منهما فاعل في الآخر، ولا يمكن أن نتحدث عن الشخصية دون أن نتحدث عن الحدث نفسه.[1]

يقول "**ميشال بوتور**": «إن الرواية تقص بواسطة مغامرات أفراد وتحكي تحركات المجتمع بأسره»[2]

ويهتم الروائي باستنباط شخصياته وإيجادها وهو حين يوجد شخصياته من الواقع إنما يستعين بتجاربه التي عاشها، أو عاناها أو لاحظها، وفي الروايات تبدو الشخصيات طبيعية متفقة، مع كل ما تصبح به الحياة في الفهم لطبيعة النفس الإنسانية، والقدرة على اكتناه ما يدور في أعماق الإنسان ما يساعده على رسم الشخصيات بكل صدق ووعي.[3]

وتنقل الشخصية حين يأتي دورها في السرد أو الحوار قضية عامة يقصدها الأديب لغرض المعالجة الفنية.[4]

لذلك تعد الشخصية في العمل الروائي أو السردي هي مركز أحداث الرواية كلها، وبذلك فهي تصنع أحداث العمل السردي وتسهم في تكوينه، وتلقي أضواء كاشفة على مكامنه، وهي بذلك تعد أهم المصادر الفعالة فيالفن القصصي، بوصفها لولب العمل فوضع الشخصية في المكان والزمان المناسبين لها يساعد على إيجاد المبررات الضرورية لتطوير الأحداث بشكل منطقي ومقنع فلا وجود أي سرد من غير أن يكون

---

[1] م فورستر، أركان القصة، ترجمة لكمال عياد، دار الكرنك، دط، القاهرة، 1960م، ص: 55.

[2] ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريد أنطونيوس،منشورات عويدات، دط، بيروت، ص: 77.

[3] ينظر: ابراهيم خليل، بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، دط، عمان، 2009، ص: 174.

[4] فليح الركابي، تجاذب الحضارات في الرواية العربية، دار الضفاف، دراسات أدبية، دط، دم، 2015، ص: 81

هناك أحداث ولكن هناك أحداث إلا إذا كان هناك شخصيات تقوم بهذه الأحداث، لذلك عناصر العمل السردي مرتبطة ببعضها البعض[1]

ولعل تعلق القارئ وفضوله بشخوص العمل القصصي ينبع من اننا نتغلغل في حياة أولئك الشخوص تغلغلا لا تضاهيه معرفتنا العادية بالناس الذين نعرفهم حولنا ففي حياتنا اليومية نعرف عددا كبيرا من النماذج البشرية من خلال احتكاكنا المباشر معهم، أما حياتهم الخاصة وعواطفهم الحقيقة ونوازعهم الدفينة وتعقيدات شخصيتهم بكل أبعادها النفسية الفكرية والاجتماعية فإنها بعيدة نسبيا عن معرفتنا، والعمل القصصي الجيد يقدم لنا نوافذ واسعة نطل منها على داخلية أنماط معينة من الناس بصورة مباشرة من دون اهتمام يذكر بالسطحيات اليومية.[2]

[1] ينظر، رولان بارت، التحليل البنيوي للسرد، مجلة العرب والفكر العالمي، عدد 5، ص:19.

[2] عدنان خالد عبد الله، النقد التطبيقي التحليلي، دن، ط1، بغداد، 1986، ص: 66.

3ـ أنواع الشخصيات في الرواية:

يرى النقاد أن الشخصيات في العمل الروائي خمسة أنواع:[1]

أـ النوع الأول: شخصيات ثابتة أو مسطحة، وهذه الشخصيات المسطحة تمثل فكرة أو صفة لا تفارقها، ولا تستطيع الأحداث أن تغيرها أو تعدل من سلوكها، فتبقى ثابتة لأنها اتخذت خطا ثابتا أو لأنها تتقمص عادات أو إشارات تعرف بها وتصبح سمتها.[2] وهي شخصية محددة الدور تأتي عابرة وتدور حول فكرة واحدة ولا تمتلك العمق أو أي تحولات كتلك التي تمتلكها الشخصية النامية، ولذلك فهي شخصية تسير على وتيرة واحدة لا تتغير، وهذه الشخصيات لا تشغل حيزا واسعا في الرواية وليس لها حضور كبير وتظهر في مشاهد قليلة في الرواية.

ب ـ النوع الثاني: شخصيات نامية أو المستديرة، حيث يتدرج الروائي في تقديم إطارها وملامحها وصفاتها واتجاهاتها، حسب تطور أحداث الرواية، تنمو مع تنامي أحداثها وتسمى أيضا الشخصية الدرامية[3]. ومعيار هذه الشخصية ومعرفتنا لها هو في مدى قدرتها على إثارة الدهشة بطريقة مقتنعة،وهذه الشخصية تسيطر على العمل الروائي ونجدها في كل فصول الرواية، وهي ذات أبعاد كثيرة فهناك البعد الجسدي، أي ما فيها من صفات خارجية، والبعد النفسي وتشمل الحالة النفسية وصفات الشخص النفسية والسيكولوجية والبعد الفكري(عقيدته، أفكاره،رؤيته الفلسفية، رأيه في الحياة)

---

[1] مصطفى النواتي، من الرواية الذهنية لدى نجيب محفوظ ،مطبعة تونس قرطاج، دط، تونس، 1981، ص: 34.

[2] ينظر. نجود. عطا الله الحوامدة، الخطاب الروائي في رواية متاهة الأعراب في ناطحات السحاب للروائي مؤنس الرزاز، وزارة الثقافة الأردنية، ط1، 2009، ص: 71.

[3] ينظر فورستر أ.م، أركان القصة، ص: 83.

والبعد الاجتماعي، يشمل علاقته بالآخرين، ودروه في مجتمعه وقوة تأثيره في البيئة من حوله.[1]

ج ـ النوع الثالث: الشخصية النموذجية وهي تجسيد مثالي لصفة أو طبقة أو مجموعة خاصة من الناس.[2]

و يعرف النقاد الشخصية النموذجية بأنها تكثيف لسمات أخلاقية واجتماعية وتاريخية في مرحلة ما في مكان ما.[3]

د ـ النوع الرابع: الشخصية النمطية، فهي شخصية عادية مسطحة لا تنمو ويضعها الروائي في الرواية بصورة تلقائية لا صعوبة فيها وهي غير قادرة على التعميم لأنها صورة قريبة من الواقع، ولا تساعد على عمل فني متكامل ولا تتناقض مع الطرح العام الذي يريده الروائي.[4]

هـ ـ النوع الخامس: ما يسمى بالشخصية الغامضة، ومسألة غموض اسم الشخصية مثير للاهتمام عند القارئ، والروائي هو أول من يحد من ذلك الغموض، ويحاول تلافيه، ويجعله موضوعًا للتأويل، وإبداء الإيضاحات، فنتخذ منه مناسبة لاستعراض قصة ذلك الاسم والملابسات التي أدت إلى خلعه على صاحبه.[5]

---

[1] خالد سليمان الخلفات، بناء الشخصية في رواية "حمالة القمح"، في محلة كلية الآداب جامعة المنصورة – العدد 62، يناير 2018، ص:5.

[2] عبد الله رضوان، النموذج وقضايا أخرى، رابطة الكتاب الأردنيين، دط،عمان، 1983، ص: 14.

[3] نجود عطاالله الحوامدة، الخطاب الروائي، في رواية متاهة الأعراب في ناطحات السحاب للروائي مؤنس الرزاز، ص: 73.

[4] انظر: عبد الله رضوان، النموذج وقضايا أخرى، ص: 46.

[5] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء الزمن الشخصية)، المركز الثقافي العربي، دط، 1990، ص:254.

4 ـ طرق تقديم شخصيات الرواية:

يلجأ الكتاب إلى طرق متباينة في تقديم شخصيات رواياتهم، فمنهم من يدقق في رسمها أو يحجب عنها كل وصف مظهري وهناك من يقدمها بشكل مباشر حيث يخبرنا عن طباعها وأوصافها أو يوكل ذلك إلى شخصيات أخرى، كما قد يكون التقديم بشكل غير مباشر، حيث يترك الكاتب للقارئ أمر استخلاص النتائج والتعليق على الخصائص المرتبطة بها، من خلال الأحداث التي يشارك فيها الأفراد أو عبر الطريقة التي تنظر بها الشخصية إلى الآخرين.[1]

بشكل عام هناك أربع طرق يتبعها الكاتب في تقديم شخصياته الروائية كما يرى "**بورتوف**":[2]

أولا: عن طريق الشخصية نفسها

ثانيا:أن تكون بواسطة شخصية أخرى

ثالثا: أن تكون بواسطة الراوي للقصة

رابعا: طريقة الجمع بين الطرق الثلاثة أي أن يقدم الشخصية من خلال الشخصية نفسها، أو من خلال شخصية أخرى، أو من خلال الراوي.

والكاتب يتوخى وهو يرسم شخصيات روايته الاهتمام بهذا العنصر الروائي، أي عنصر الشخصية بإعتبارها اللبنة الرئيسية في العمل الروائي التي قامت عليها فكرة العمل كله.

---

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء الزمن الشخصية)، المركز الثقافي العربي، 1990، ص: 224.

[2] ينظر: بورتوف أوئيلية، عالم الرواية، تر: نهار لبنان، دار الشؤون الثقافية العامة، دط، بغداد، 1990، ص: 158.

5 ـ الشخصية التاريخية:

يلجأ الأديب إلى استدعاء الشخصية التاريخية بغرض تقديم تلك الشخصية بشكل مباشر، وكشف طبيعة علاقتها بالمحيطين بها، كما يسلط الضوء على طريقة تعاملها مع الأزمات والأحداث المحيطة بها وذلك من خلال الكشف عن ردود أفعالها ومعتقداتها وايديولوجيتها وهو ما يستدعي أن يتضمن بناء الشخصية فنيا المزج بين الأحداث الماضية والحاضرة من ناحية، وأبعاد الشخصية الثلاثة (الفيزيائية، السيكولوجية، السوسيولوجية) من ناحية أخرى وفق ما هو متبع في الإبداع الأدبي بشكل عام، فإذا كان يتم تقديم الشخصية في العمل الأدبي بعدة طرق أهمها "اسم الشخصية الذي يعلن عن الخصوصيات التي ستمنح لها"[1]فإنّ الشخصية التاريخية يتم تقديمها بوصفها رمزا، وتصير الأبعاد الفنية والجمالية لهذا الرمز مكونا له، ولا غنى عنها، ولا يعنى هذا أن يتم استنساخ الشخصية من إطارها التاريخي بشكل محض، بل يستوحي المؤلف من النوع الأدبي الذي يقدم تلك الشخصية من خلاله الآلية الفنية، حيث يتم تقديم الشخصية الملائمة لعرضها وتوظيفها دون الإخلال بعناصرها الفنية حيث يتم تقديم الشخصية " اعتماداً على دال منفصل أي على مجموعة متماثلة من الإشارات التي يمكن تسميتها سمة الشخصية"[2]، وهو ما تنفتح معه دائرة الوصف مثلا، لتتجاوز حدود الوصف التقليدي بين الوصف الخارجي والداخلي عبر الأطر الفنية المعتادة وتشيد ملامح الشخصية مجموعة من العناصر الأخرى، التي "تحتضن الشخصية باعتبارها عنصر دائم الحضور، وباعتبارها سند الصفات مميزة، والتحولات السردية" فهي تساعد القارئ على تشكيل صورة ذهنية لتلك الشخصية وفقا لمقروئية النص.

---

[1]تزفيطان تودوروف، مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، دط، 2005 م، ص: 78.

[2]فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، تقديم، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص: 58.

الفصل الأول

صورة شخصية الأمير عبد القادر في الرواية

1. القائد العسكري

1- 1- معركة عين ماضي

1- 2-معركة نقض معاهدة التافنة

1- 3- معركة تامدة

1-4- معركة الزمالة

1- 5 - حسن معاملته للأسرى الحربيين

2 - رجل الدين والأخلاق الإسلامية

2-1 - التسامح الديني

2- 2 -التصـــوف

2 -3 - الزهـــــد

2-4 - التواضع

2- 5- الســلم

2. 6- محاورة الأديان

1 ـ القائد العسكري:

واعتمد "**الأمير عبد القادر**" في دفاعه وتصديه للعدو إستراتيجية «كانت مخططاته العسكرية تتغير حسب الظروف المشعودة، التي غالبا تتمثل في اشتباكات بكميات صغيرة وبعضها على شكل حروف، بالإضافة إلى حرب العصابات التي كانت تكلف الفرنسيين خسارة بشرية عظيمة»[1] "**الأمير عبد القادر**" بفضل نسبه وتعليمه العربي والديني الأصيل كان للأسرة الأميرية وبيئتها الفعال في تكوين شخصية الأمير.

قيام دولة الأمير على ثلاثة عواصم بداية بمعسكر ثم تكدامت وأخير زمالة العاصمة المتنقلة التي كانت على شكل خيام ذات راية خضراء.[2]

اهتم الأمير بتجهيز جيشه الذي كان فئتين نظامي وغير نظامي لمواجهة العدو، وضع الأمير قانون عسكري وفق عدد من الشروط بهدف الترتيب والتنظيم لصفوف الجيش والتحكم في شؤون الدولة الجديدة.

«كانت إستراتيجية "**الأمير عبد القادر**" تهدف إلى إخراج الاستعمار الفرنسي من كامل التراب الوطني وإقامة دولة جزائرية موحدة ولتحقيق ذلك اتخذ مجموعة من التدابير العسكرية كانت عبارة على تعليمات دائمة قد أعطاها الأمير لخلفائه»[3].

وهذا لا يمنع أن يكون في ساحة المعركة القائد والمقاتل والفارس الشهم الشجاع وهكذا صوره "**واسيني الأعرج**" في كتابه «رمى الأمير بصوت بعيدا قبل أن يهمز

---

[1] علي بن محمد الصلابي سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، دار المعرفة، دط، بيروت – لبنان، دت، ص: 45.

[2] الأميرة بديعة الحسيني الجزائري، الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره، تر: أبو القاسم مسعد الله – الأمير عبد القادر، ج 3، دار الوعي للنشر والتوزيع ط1، دم، دت، ص: 301.

[3] علي بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، ص: 126.

حصانه بالركوب بلطف، ثم رفع حصان الأمير الأسود رأسه قليلا ثم قوائمه الأمامية قبل أن يتحرك نحو المقدمة أكثر حتى تجاوز أحصنة الخيالة بألبستهم الحمراء ولوح الأمير بيده اليمني ارتفعت الأعلام الكثيرة مخترقتا الصفوف»[1] المقاتل في ساحة المعركة حين يتصدى إلى جنود العدو وفق خطوات مدروسة.

1 -1 ـ معركة عين ماضي:

عين ماضي مكان في الأغواط جنوب الصحراء شيد فيه أجداد "**محمد التجاني**" ثلاثة مئة بيت وقصرا وزاوية تدرس فيها الطريقة التجانية من مبدأها السلام وهذا مع جعل الأمير وأركان دولته يظنون خيرا، ولكن الأيام كشفت حقيقة هذه العقيدة، وأن مفهوم السلام عندهم هو القبول بحكم الأقوياء.[2]

حتى ولو كانت من الاستعمار على شرط ليست بينه وبين جنرالات المحتلين أيضا بين قوى الشر في البلاد.

1 -1-1- استشارة الجنود:

استقبل "**الأمير وفودا**" من قبائل الأغواط الذين طلبوا منه قبول انضمام ناحيتهم إلى دولته، فقبل وعين ولايتهم الحاج العربي لكن "**محمد الصغير التجاني**" رفض الانضواء تحت راية الأمير، فبعث فيهم "**الحاج مصطفى التهامي**" يستأمن على أهله ونفسه

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، دار الأدب للنشر والتوزيع، ط2، بيروت لبنان، 2008، ص: 255.

[2] علي محمد محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر القائد الرباني والمجاهد الإسلامي، ص: 192.

وكذلك التحق أخو الأمير محمد السعيد مرابط سهيل غريس، مصحوبا برؤساء القبائل على رأس جيش كبير لمساعدة الأمير ولتعقيله لتفادي الاصطدام مع "**محمد التجاني**".

طلب الأمير من ابن التهامي أن لا يكون من البادين بالاعتداء وأعطى له فرصة للإعداد وسماح للجنود بالراحة بعد الانتصار العظيم من المعركة لأن الجنود بدأو بالتململ والرغبة في التراجع، وافق "**الأمير**" على طلب الخليفة واستغلوا الفرصة في تقليد القواد الرتب العسكرية ودفنوا الموتى وأعاد ترتيب الجيش، بعث الأمير رسول إلى مقدم الزاوية يحاول فيه اقناعه بضعفه وكلامه إن بقى مصرا على المقاومة، رد عليه خليفة الزاوية في رسالة قال فيها: «قولوا لأميركم لست عدوا له ولا رجلا منتفضا ضد سلطانه، وأنا مستعدا ... وعليه أولا باختراق أسوار عين ماضي واختراق صدور أتباعي»[1]. كان "**محمد التجاني**" يعتقد أن الأمير سوف يهزم لأنه يرى أن التجانيين هم خلفاء الله في أرضه.

1- 1 -2 - الخطة:

«كان التجاني يتحصن بحصن عين ماضي، حاول الأمير فتح ثغرة فيه أو نفق يتسلل منه الجنود، لكن المحاولات باءت بالفشل فاستعان "**بالماريشال قالي**" في بعض الترتيبات والسلاح الذي يحاول من خلاله إحداث فجوات في الأسوار والتحصينات، تقدمت المدفعية التي وضعت على المرتفعات ووجهت نحو أسوار المدينة الضربات التهديدية الأولى التي تنزل عليها بقوة قبل أن يتوقف الأمير في انتظار الإشارة من

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 258.

مقدم الزاوية[1] «بعث أحد الفرسان يتحسس الحيطان والحالة العامة للمدينة أراد أن يعرف ردة فعل الناس والقدرات المدفعية، ووضع اثنا عشرة قطعة مدفعية وستة مدافع بعيدة المدى على الحصون، كما قام بتحويل المدينة من كل جهة ومنع الداخل إليها والخارج منها واستغل الأقبية الرومانية كمحلات أو مصانع صغيرة لتحويل الحديد والرصاص، وجوع السكان واحتل الآبار المجاورة منها ونقاط الماء، وهجم على الحدائق المحيطة بها وحرقها ودمر أسوار المدينة وحفر الأنفاق وملأها بالماء، وحفر ثمانية ممرات أساسية وحشرها بقناطير من البارود السريع، المشاة يستطيعون الدخول بدون أي إشكال وفتحت الأبواب.

1- 3.1- المعركة:

«.....كان الصيف حارا، والجثث تتفسخ بسرعة ثمانون قتيلا في صفوف الأمير دفنوا بسرعة في مقبرة جهزت لغرض المعركة كان الجرحى يقتادون إلى خيمة واسعة»[2]، الرماد وبعض الأدوية التي بعثها "**قالي**" إلى الأمير هي الوسيلة لعلاج المصابين، كما تعرضت أسوار عين ماضي للقصف المركز أثناء كل صبيحة لا تتوقف المدافع الفرنسية والمغربية ومشرفيها من الفرنسيين عن الضرب الدك المتواصل، تسمع صوت القذيفة في الأفق وهي تخرج من فوهة المدافع الواسعة مصحوبة بالأدخنة والهزات العنيفة وبعد عشرون يوم من الذل والحصار تم الاستيلاء على ما تبقى من الجنانات والسواقي المحيطة بالمدينة وضواحيها.

كما أعطى "**ليون روش**" أوامره "**لحسن النمساوي**"، «فجأة سمع دوي عنيف تطايرت إثره أساور المدينة عاليا، ارتفاع ألسنة اللهب عاليا تغطي الأدخنة الكثيرة في

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص، 87.
[2] المصدر نفسه، ص: 277.

السماء، أعطى "**روش**" الأمر للقبائل الأولى لحرق كل شيء»[1]. احترقت المساكن الفارقة والحدائق وحقول القمح والتين والخيام والمسامير، ولم يرى سوى النيران متقدمة والرماد وصرخات النساء الحوامل والأطفال، قال الأمير لأمه: «الحاجة فاطمة الزهراء الله يفتح عليك إذا كانت حاجات خفيفة تكفلي بها أنت، وفد من النساء جرحى غزوة عين ماضي استكلفي بهم واطمئني على السجناء حتى يفرج عليهم الله، وسأتكفل بالباقي»[2]، كانت معاملة الأسرى الذين وقعوا في قبضتهم من أتباع التجاني أثناء الحصار متقدمة ومتميزة، فقد كانوا يقيمون مع المقاتلين بنفس الخيام يأكلون معهم ويصلون معهم.

1 ـ 2 ـمعركة نقض معاهدة التافنة:

«جاءت اتفاقية التافنة بعد أن أدرك "**بيجو**" أن جيش الأمير لا ينقصه إلا التدريب وبذلك ينبغي أن يقرأ له ألف حساب والأفضل له أن يسعى إلى إبرام معاهدة صلح سميت بمعاهدة التافنة بعث نشاط هذه الفترة توجها نحو البناء والتعمير وضم العديد من العلائلات والدواوير»[3] وأتاحت مكاسب معتبرة للأمير نال فيها فترة من الهدوء والسلام، وأعاد فيها ترتيب وتنظيم جيشه.

نقض الجيش الفرنسي المعاهدة كعادته وذلك عندما عبر أراضي دولة الأمير دون إذن منه «حينها أدرك الأمير أن الجيش الفرنسي كان يعمل من أجل مهاجمته خوفا من تزايد قوته»[4].

---

[1]واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 288.

[2]المصدر نفسه، ص: 288.

[3]عبد القادر زايز، دور خلفاء الأمير في بناء الدولة الجزائرية، رسالة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران (2009 – 2010)، ص: 46.

[4]بشير سلاح، تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1989)، ج1، جدار المعرفة، دط، دم، 2006، ص: 179.

1-2-1. استشارة الجنود:

اعتبر الأمير هذا التصرف خرقا لبنود "**معاهدة التافنة**" حيث بعث الأمير في 18 نوفمبر برسالة تهديد وتحذير من عواقب هذا التصرف، وهكذا بدأت مرحلة جديدة وحاسمة بين الأمير عبد القادر والقوات الفرنسية فلقد تدخل أناس كثيرين في الوثيقة، والآراء متضاربة يرفضون من الأمير ويفضلون سيوف الحرب لأن الأمير كان دائما يجنح إلى السلم، كان رفضهم قاطع لكل تحرير في الإتفاقية والمطالبة بمحاكمة بن عراش كان ابن دوران يحاول إقناع الأمير بالهدنة.

بعد مشاورات كثيرة مع خلفاء وأعيان القبائل، والأشراف رفضوا الموافقة على ملحق الاتفاقية «كانت الحرب قد بدأت ولا أحد كان يعرف كيف ستكون النهاية..... لكن الأمير كان متأكد أن الحرب هذه المرة لن تكون تشبه حروب السنوات الماضية»[1] حرب بالطمع واليأس.

2-2-1- الخطة:

مليانة العاصمة السياسية للأمير عبد القادر، جيش الأمير تحت قيادة ابن عروش البركاني «... استدعى الأمير خلفاءه الرئيسيين الثلاثة ووزعهم باتجاه المتيجة المكان الرمزي للإحتلال، أمر خليفته ابن علال أن يتجه صحبة الخليفة البركاني رئيس قبائل غرب الجزائر البربرية، صوب المتيجة، وأن يبدأ من الجنوب، وغرب الجزائر وحرق كل شيء»[2]، أحس "**بيجو**" بأن الأمير غير ما كان يحاول إظهاره، أنقضت الجيوش

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 300.

[2] المصدر نفسه، ص: 300.

المتوغلة في عمق المصيدة بين الحافة والصخور والوحل والوديان عندما أصبحوا في مرمى القوات المختبئة وراء الصخور والأشجار بدأ الهجوم المضاء فخرجت خيالة الأمير من الجنوب لدعم القوات المحلية والقبائل الفليته وسكان الشلف، لأن خسران الونشريس يغير مسار الحرب وتوغلت قوات الأمير وخيالته في عمق منحدرات مخروطية عميقة تشبه المدافن الفرعونية، دخول في الجبال وتعمقهم فيه واستقرار قادته.

1ـ 2ـ3ـ المعركة:

صوت القائد وسط العلقة البارود وهدير المدفعية وهو يدعوا إلى التراجع خديعة، خديعة والجري في كل الاتجاهات، وجيش الأمير على حافة المنحدرات مواجهة البنادق العمياء التي تحصدهم الجراد والارتماء على الصخور والوديان للوقاية من الرصاص مجزرة أخرجت فيها السكاكين التي لمعت تحت أشعة الشمس لم يعد إلا سماع الصرخات المكثومة والحشرجات التي تسبق الموتى، القليل من استطاع أن ينجو بجلده حاملا كل جسده علامات وجرحات ورائحة الخوف والبارود، انسحب الأمير وما تبقى من جيشه، أعطى "**بيجو**" الأمر بحرق كل المحاصل وقلع الأشجار، وتدمير كل شيء والاستيلاء على رؤوس الأغنام والأبقار والأحصنة، بمساعدة القائد "**مصطفى بن إسماعيل**" الخائن انتصر "**بيجو**" في المعركة بسبب القبائل المصرة على الحرب "**بيجو**": «العرب محاربون أقوياء ولكنهم ينكسرون بسرعة لقد أخذوا درسا قويا ولكن الضربة القوية يجب أن تصيب الأمير في قلب تكدامت»[1] في هذه المعركة أخرج الأمير الأمور عن سيطرته أعطى إستراتيجية العسكرية لخلفائه دون سابق تخطيط وتركيب.

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص:404.

3.1- معركة التامدة :

تعتبر هذه المعركة من المعارك التاريخية التي قادها "**الأمير عبد القادر**" ضد الاحتلال الفرنسي، وقعت في23 ديسمبر 1845، في تامدة بجبل شمال تيارت بعد ملاحقة الأمير من طرف الاستعمار.

1.3.1- استشارة الجنود :

«معركة تامدة كانت مواجهة منتظرة نتيجة لتضييق الخناق على الأمير من خلال قطع مساعدات المغرب الأقصى وانتشار القوات الفرنسية في أقطار الإقليم الوهراني»[1].

بعثت هذه المعركة الروح في المقاومة، بمشاركة الشريف بومعزة ورجاله فيها، قام بقيادتها والتنظيم لها لمواجهة الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال "**يوسف**"، عين "**الأمير عبد القادر**" الحاج الصغير بن أخ "**محمد بن علال خليفة**" جديدا له اتحدت قوى الثورة الجزائرية جنبا إلى جنب مع خيالة الأمير، لذلك كانت راية بومعزة مرفوعة بجانب راية الأمير البيضاء.

2.3.1- الخطة :

عند وصول الجنرال "**يوسف**" إلى تامدة، لاحظ وجود اثرين على اليمين أمتعة وعلى الشمال آثار خيالة كثيرة، بعد مسيرة طويلة ليلا ونهار في ملاحقة جيش الأمير، حاصر الجيش الفرنسي معسكر الأمير الذي كان في جبل بوشطوط قال العقيد "**سانت آرنو**": «كان **الماريشال والجنرال يوسف** يجريان خلف "**الأمير عبد القادر**"، والذي لم

[1] الجيلاني طاهري، عيسى، زريكي، معركة تامدة 23 ديسمبر مواجهة تاريخية بين الأمير عبد القادر والفرنسيين، مجلة التاريخ المتوسطي، المجلد 02، العدد 02 بشهر ديسمبر 2020، ص: 127- 143، جامعة عمار تليجي، الأغواط ، ص 128 .

يستضيف إدراكه فقد كان ينسل من بين أصابعهم، ولكني بقيت أراقب وأترصد ظهوره بأحد الوديان الأربعة تحت حراستي»[1]، لاحق يوسف أمتعة الأمير حيث أقام الأمير رايته البيضاء ليلتفوا حولها، كان الأمير بمعسكر رفقة ثمانمائة من خيالته.

1-3-3- المعركة :

كان التلاحم شديد قوات بين قوات الجنرال يوسف وجيش الأمير، انقسمت أحداث هذه المعركة إلى أربعة مراحل الأول هجوم الأمير مع رجاله من النخبة الذين كانوا ملتفون حوله قتل فيها حصان الأمير، امتطى الأمير حصان آخر ثم عاود الهجوم بتكرار الوضعية نفسها، ثم اخذ الأمير موضع ثالث إلى تلة مجاورة فلوحق، في الأخير قرر ترك المعركة والتراجع، تارك بين يدي فرنسيين قتيلا والعديد من الجرحى وحوالي عشرين حصان، وعشرة بغال واثنين وعشرون جمل، وخيام وأمتعة دامت هذه المعركة حوالي ساعتين لم يجمع فيها الأمير إلا حوالي 300 حصان ثم عاود الهجمة ليتبعه بعض الخيالة لكن بعد ساعة تراجع الأمير تماما و اتجها إلى ميناء غرب تاقدامت قال "**المارشال**" يبشر وزير الحرب بانتصاره: «هذه المعركة سيدي الوزير،شرفت كثيرا خيالتنا إذ أنها حازت تفوق ضد مجموعة من النخبة التي تزاد عدد الضعف ومن الأكيد أن جنودنا الشجعان وجدوا أنفسهم في ظروف حاسمة بسبب قلتهم العددية زيادة على كونهم في مواجهة تجمع من خيرة خيالة الجزائر»[2].

معركة تامدة كانت نصرة للعدو في وجه جيش الأمير والتي تباهى بها المارشال، ونشرت الصحافة في ذلك الوقت الخبر على أن جيشهم قد انتصر.

---

[1] الجيلاني طاهري، عيسى، زريكي، معركة تامدة 23 ديسمبر مواجهة تاريخية بين الأمير عبد القادر والفرنسيين، مجلة التاريخ المتوسطي، المجلد 02، العدد 02 بشهر ديسمبر 2020، ص: 137.

[2] المرجع نفسه، ص 141

لان خسارتهم لم تكن كبيرة «10 قتلى من ضباط الصف، 20 جريحا منبينهم ضابطان، 60 حصان، لا سلاحا ولا وسيلة تركت في أرض المعركة»[1].

أما جيش الأمير حسب تقارير العدو الحصيلة أربعة أو خمسة أضعاف جيشهم.

4-1 ـ معركة الزمالة:[2]

هي مجموعة من الخيام إتخدها "**الأمير عبد القادر**" عاصمة سياسية له بعد سقوط تكدامت سنة 1830م وهذه العاصمة تتحرك كلما دعت الضرورة أو داهمها الخطر من هنا ذاع صيت الزمالة التي أحرزت أهمية في التاريخ الجزائري، تتكون من ثلاثة أقسام: الزمالة فيها مقر الأمير وأهله وحاشيته.

1-4-1- استشارة الجنود:

دعا الأمير المجلس العسكري الاستشاري وخطب فيهم بأنه مازالت انتصاراته مستمرة ومازالت حصونه تحرس المدن والمصانع، وأنه في حال هوجمت الحصون بقوات لم يستطع حمايتها، فيرى أن لا بد أن ينتقل إلى مكان آمن، وافقه القائد الكبير "**البوحميدي**"، وأقام العاصمة المتنقلة التي كان الأمير يصول ويجول فيها لها من الشرق إلى الغرب، قسم الأمير معسكر إلى أربعة دوائر قال الأمير: «المركز تحتله إدارتي وعائلتي ثم الدائرة الأولى مكونة من معاوني المباشرين ومنهم: "**ابن التهامي**" وبـ "**لخروبي**" و"**الميلود بن عراش**"، و"**ابن خليفة**"، الدائرة الثانية مكونة من دوائر

[1] الجيلاني طاهري، عيسى، زريكي، معركة تامدة 23 ديسمبر مواجهة تاريخية بين الأمير عبد القادر والفرنسيين، مجلة التاريخ المتوسطي، المجلد 02، العدد 02 بشهر ديسمبر 2020، ص 141

[2] هاجر هروال، التنظيم المؤسساتي لدولة الأمير عبد القادر (1832 – 1841) مذكرة نيل الماستر، الطيب العماري، جامعة محمد خيضر، بسكرة (2015–2016)، ص: 73

سيدي مبارك ومسؤول الخيالة وقنصلي في وهران سيدي الهادي الحبيب ولد الهروا دائرته المركزية، الدائرة الثالثة مكونة في معظمها من قبيلة هاشم، أما الدائرة الأخيرة مكونة من مختلف القبائل المتضررة وقبائل الجنوب المتنقلة.»[1] بعد سنتين من الظهور.

1-4-2- الخطة:

«بعد مرور سنتين على عمر هذه المدينة الأعجوبة الزمالة كان على الأمير الهجوم على قوات لامورسيير التي تتمركز في أحراش سرسو، وخرج من الزمالة على رأس ثلاثة آلاف مقاتل»[2]، كان الأمير قد وضع الكمائن وأعطى الإشارة إلى جنوده أن يجمعوا نباتات الكريش وأشجار الزيتون والحلفاء، والقصب لفصل الوديان، وطلاء الجمال بالقار وكساها بالتبن والحلفاء، ثم ليشعل فيها النار ويدفع بها صوبهم لمفاجئتهم بها وبعدها يطلق النار عليها، ومن ثم يهجم عليهم بالخيالة وطلب من جنوده أنه من وصل الأول يفتح الطريق على الضفة الملوية ويفتح الدائرة للمرور، كانت مسيرتهم في عمق الظلمة ليخفي الزمالة على الأنظار ومنع العدو من تعقب أثاره.

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 331.

[2] علي محمد الصلابي، سيرة الأمير قائد رباني ومجاهد إسلامي، ص:143.

3.4.1- المعركة:

اشتدت المعركة في الظلمة الدامسة لا يرى إلا بريق السكاكين وهي تحت ضوء القناديل لا تسمع إلا الصرخات المكتومة والحشرجات الكثيرة والسكاكين تغرس في الرقاب المتعبة بدون جهد كبير، والجثث ترمى في الوادي المجاور للأكواخ، والحصيلة مائه وسبعون رقبة مرت عليها السكاكين الحادة والنيران تشتعل في القطران والحلفاء التي تكسوها «فتبدوا كأن الليل اشتعل فجأة وبدأت كتل النار تتجه يعنف وصراخ حاد تجاه قلب المعسكر»[1]. والخيام تسحب بقوة وتحترق بالكامل لا شيء يسمع الأنفس المتقطعة ولعلعة الرصاص، والسيوف نداءات الاستغاثة تأتي من كل الجهات فوضى عارمة، الدخان والأجسام المحروقة تملأ المكان «المشهد لم ينزلق من نظر الرسام "**راس فرنيه**" الذي ظل يتبع من أعالي المرتفع، المشاهد وحركة "**الدوق دومال**" وهو يبحث عن مسالكه وسط الأجسام الباردة والدم والأحصنة»[2] أنهى الأمير في هذه المعركة القتال دون هزيمة «لقد نجح الأمير في تحقيق هدفه في إيقاف تقدم القوات الفرنسية وبذلك أدى انتصار الأمير في المعركة إلى السيطرة»[3] وبعد هذه المعركة أراد الأمير الاستسلام وإنهاء القتال «فقد طلب الأمن على أن يسمح له بالذهاب إلى المشرق، فقد خشي على المستضعفين من الرجال والنساء والشيوخ من الهلاك والإبادة، وأملى شروطه على فرنسا قبلتها دون اعتراض»[4] وقع الأمير معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1847 وهنا تكون قد انتهت فكرة مقاومة الأمير عبد القادر.

---

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 404.

[2] المصدر نفسه، ص:345.

[3] حروشوش كريمة أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، الأمير عبد القادر واسهاماته في النهضة العربية بالجزائر وبلاد الشام بين التطبيق والنظري (1832 – 1860)، جامعة وهران، ص:206.

[4] واسيني الأعرج، الأمير، ص: 212.

5.1 ـ حسن معاملته للأسرى الحربيين:

وصف الكاتب "**واسيني الأعرج**" شخصية الأمير على أنه قائد يلتزم بما يمليه عليه دينه من تعاليم إسلامية ومن بينها حسن معاملته للأسرى بعد المعارك التي يشارك فيها، كما انه يوافق على تبادل الأسرى دون أي تعقيدات، فنجده عندما طلب منه "**مونسينيور**" مبادلة الأسرى الفرنسيين مقابل الأسرى الجزائريين وأرسل له الأب سوشي يوافق الأمير مباشرة، كما طلب منه الأب سوشي أن يطلق بقية المساجين في وهران فوافق دون أن يأخذ أية فدية إلا بعد إلحاح الأب سوشي، كما رضي الأمير كذلك على مرافقة قس للسجناء النصارى من أجل التخفيف عنهم من مرارة السجن.[1]

ومن حسن معاملته للأسرى أيضا، في معركة عين ماضي يطلب من أمه "**لالة الزهراء**" أن تتفقد السجناء فيقول الأمير: «وفد من نساء جرحى عزوة عين ماضي استكلفى بهم واطمئنى على السجناء حتى يفرج عليهم الله»[2] كما كانت أيضا "**لالة الزهراء**" تقوم على خدمة سجناء سيدي أبراهيم وعين تموشنت عندما تأخر عنهم الأمير لدرجة أنها تقدم لهم من طعامها إذ يقول "**ابن التهامي**" مخاطبا "**أبو حمدي**": «كل شيء صار غامضا وضدنا ؟المساجين نفسهم لم نجد ما نعطيه لهم، منذ أيام و"**لالة الزهراء**" تنزع من أكلها وتسلمه لهم قبل أن يشرعو في أكل الحشائش وعروق النباتات والبقوقا».[3]

ولقد تأثر الأمير كثيرا عندما علم بذبح سجناء سيدي إبراهيم وعين تيموشنت واستاء كثيرا إذ يقول «يبدو أن الأقدار كلها تتكاثف لكي تعلن عن هلاكنا، ماذا نقول

---

[1] ينظر: واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 323- 324.

[2] المصدر نفسه، ص: 287.

[3] المصدر نفسه، ص: 400.

لعائلات هؤلاء الذين ذبحوا؟ ماذا أقول لأولادهم الذين ينتظرون عودتهم منذ أن عرفوا أنهم في حوزتنا؟ ماذا أقول للذين رأوا فينا قدوة تتبع اتجاه المساجين»[1] فقد كانت له هذه الحادثة بمثابة خيبة أمل كما يقول في موضع آخر«مقتل سجين واحد يؤذيني فما بالك بكل هذا العدد»[2] ويقول أيضا «القتل ليس من أخلاقي، الحرب حرب والسجين إنسان مجرد من كل دفاع»[3].

لقد اعتبر "**الأمير عبد القادر**" وهو المحارب والمقاوم للاستعمار الفرنسي أن كل جندي فرنسي يتم أسره يعتبر أسير حرب لا يسمح بإهانته، كما حرم تحريما قاطعا قتل الأسير وهو مجرد من السلاح وكان دائما يدعوا جنوده إلى معاملة الأسير الفرنسي أو الأوربي معاملة حسنة وكان يسهر شخصيا على معالجة الجرحى والمرضى من الأسرى وفي حالة شكوى الأسير من سوء معاملة تسقط المكافأة المالية التي كانت تعطى لمن مقدم أسيرا وتتبعها عقوبات أخرى وهي وإن كانت مبادئ أساسية في الدين الإسلامي إلا أن "**الأمير عبد القادر**" جسدها تجسيدا كاملا واقعيا.

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 409.

[2] المصدر نفسه، ص: 415.

[3] المصدر نفسه، ص: 416.

2 ـرجل الدين والأخلاق الإسلامية

يسلط الكاتب "**واسيني الأعرج**" في روايته "**الأمير مسالك أبواب الحديد**" الضوء أولا على شخصية الأمير بوصفها شخصية البطل ثم البحث عن أهم مواصفاتها من خلال سلوكها ومواقفها اتجاه قضايا مختلفة.

لقد حفظ "**الأمير عبد القادر**" القرآن الكريم ودرس وتلقى مجموعة من العلوم منها: الفلسفة، الفقه والحديث، وتلقى صحيح مسلم والبخاري وقام بتدريسها، حفظ الألفية في النحو تتعلم السنوسية والإتقان في علوم القرآن، فكان واسع الاطلاع على العلوم الشرعية والعلوم العقلية والرحلة والمشاهدة[1]، وأشتهر بالنزعة الإسلامية[2].

ومن بين الأخلاق التي اتصفت بها شخصية "**الأمير عبد القادر**" نذكر منها:

1.2ـ التسامح الديني :

يصف لنا "**واسيني الأعرج**" خلق التسامح عند الأمير على لسان الكولونيل الفرنسي مخاطبا "**مونسينيور**" عند زيارته للأمير «اعتقد أنه سيسعد بوجودك، "**مونسينيور**"، ستزور الشخصية الاستثنائية، ولن تندم على مشقة السفر التي بذلتها لزيارته عرفت "**عبد القادر**" في أيام عزه وقت كانت الجزائر كلها تحت سطوة سلطانه وقوانينه، ستجده اليوم أكبر وأكثر إدهاشا في نقاشاته لا يطلب الشيء الكثير من الدنيا ولا يشتكي أبدا ويجد الأعذار حتى لخصومه في الميدان ولا يسمح لأحد أن يمسهم

[1] بوهلالة أمحمد، شخصية الأمير عبد القادر الجزائري في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 14 عدد 4، الجزائر، 2022، ص: 58.

[2] ينظر: علي بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، ص: 9.

بسوء»[1] ويقول أيضا واصفا "**الأمير عبد القادر**" «ستجده ساكنا في خلوته يعذر حتى الذين تسببوا في عذابه الكبير، مسلمين كانوا أو مسيحيين، ويعزو كل ذلك إلى الظروف القاسية التي تتسلط فجأة على الأفراد والجماعات، بزيارتكم لهذا الرجل النبيل والاستثنائي الشخصية ستضيفون عملا إنسانية جديدا إلى ما زخرت به حياتكم»[2]، وهذا اعتراف من عدو على نبل أخلاق "**الأمير عبد القادر**" وتسامحه رغم كل الظروف المحيطة به.

ومن أهم صور التسامح عند الأمير عفوه عن العبد الذي أراد قتله بأمر من ولي العهد المغربي والذي يصفه الأمير بالعقون، فعندما كان الأمير في خلوته يقرأ القرآن وإذا بالعبد يصرخ، « يا أمير المؤمنين، لقد كلفت بقتلك وها أنا ذا أفشل في رفع سيفي ولا أدري لماذا، مع أني كنت لوحدي كما ترى، عندما هممت بفعل ذلك رأيت هالة من النور غمرتني ولم أعد أرى شيئاً أبدا فقلت هذه علامة من علامات الله».

قال الأمير بهدوء ورزانة: «سبحانه أترك سيفك فلست بحاجة إليه وارتح هنا بجانبي قليلا هنا بالضبط على الزريبة نفسها التي كنت أصلي عليها واقرأ كلام الله الذي لا أشك في أنك تعرفه لقد شاء الله أن تدخل المكان قاتلا وتخرج منه كريما مؤمنا»[3] فلقد عفا عنه وأوصى به خير لأنه لا يستطيع أن يعود للسلطان مرة أخرى.

---

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 46.

[2] المصدر نفسه، ص: 47.

[3] المصدر نفسه، ص: 428 – 429.

لم يكن الأمير قاسيا بطبعه وخيرات الأرض لا تسيطر على قلبه وقتاله للمسيحيين لكونهم معتديين غاضبين لا لدينهم[1] فهو يقاتل الفرنسيين لكونهم مستعمرين وليس لدينهم.

2-2 ـ التصوف :

وصف الكاتب "**واسيني الأعرج**" الأمير في كتابه بالعابد الصوفي الذي يدخل في حالة صمت وعزلة وخاصة إذا صعب عليه أمر ما وهو من أتباع الشيخ "**عبد القادر الجيلاني**" والذي زار مقامه في رحلته إلى الحج رفقة أبيه الشيخ محي الدين[2]، فكانت المسبحة لا تفارق يده وهذا ما صرح به المؤلف «ولكنه عاد إلى صمته ومسبحته التي لا تغادر يده»[3] ويدخل "**الأمير عبد القادر**" في خلوته عند انكساره ففي حادثة ذبح السجناء يقول الكاتب واصفا «شخصية الأمير في تلك الليلة لم يرى أهله ونام في المكان الذي مال فيه برأسه على الوسادة الكبيرة إلى الوراء قليلا، قبل أن ينطفئ على وجه "**ابن عربي**" وهو يصرخ في حضرة "**ابن تيمية**": يا سيدي الإمام، لقد ضاق المسلك وانطفأت الرؤية، عليك السبل قد خلت الفتوحات المكية بمفاتيح غير مفاتيح المكاشفة ولهذا خسرت محبة الله ومحبة الناس»[4]، فهو يشعر بالإثم أمام الله والناس.

ولقد زادت مرارة السجن المنفى من عزلة وصمت الأمير فكان كثيرا ما يقضي معظم أوقاته في الصلاة والتأمل لكي يخفف على نفسه ويدعو الله بأن يفرج عليه وعلى من قاسموه أوجاع وآلام المنفى وحياته البائسة، وهذا ما صرح به المؤلف على

[1] ينظر: علي بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، ص: 104.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 106.
[3] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 410.
[4] المصدر نفسه، ص: 410.

لسان "**الأمير عبد القادر**": «يئست نهائيا وأيأست معي محيطي، ولم يبق أمامي سوى الصلاة والحديث مع أمي في لحظات الخلوة وتربية ابني محمد ومحي الدين على محبة الخير والله، ودعوة من كان معي بالتحلي بمزيد من الصبر»[1].

كما أنه كان شديد التعلق بكتاب الإشارات الإلهية "**لأبي حيان**" التوحيدي إذ كان لا يفارقه يده في المنفى وهذا ما أخبرنا به المؤلف: «اتكأ بظهره ثم فتح الكتاب الذي لم يغادر يده الإشارات الإلهية وتوقف قليلا عند فصل الغريب ملأ قلبه وعينيه»[2]، فقد كانت كتبه هي المتنفس الوحيد في المنفى.

2-3 ـ الزهـــــــد:

كان "**الأمير عبد القادر**" زاهدا مثاليا[3]، صور لنا المؤلف شخصية الأمير بالزاهد الذي لا تسوقه النزوات أو حب التفاخر، يرد على أبيه قائلا: «لا تجعلني أندم يا أبي على إمارة لم أطلبها»[4]، فقد كان يرفض البيعة ولم يرض بها إلا احتراما لأبيه ولرأي الجماعة، وقد وصفه المؤلف في موضع آخر من كتابه على لسان الكابتن "**دو سانت هيبوليت**" إذ يقول: «الأمير رجل مدهش، هو في وضعية أخلاقية لا نعرفها جيدا فيه أوربا، رجل زاهد في شؤون الدنيا ويظن أنه موكل من طرف الله بمهمة حماية رعاياه، حلمه ليس الحصول على مجد والهدف الشخصي ليس من مهامه وحب المال لا يعنيه أبدًا، ليس ملتصقا بالأرض إلا وفق ما يمليه عليه الله فهو أداته»[5]، فالأمير عندما

---

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص:506.

[2] المصدر نفسه، ص:515.

[3] ينظر: على بن محمد الصلابي، سيرة الأمير قائد رباني ومجاهد إسلامي، ص:104.

[4] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 150.

[5] المصدر نفسه، ص: 150.

يقاتل ليس لهدف شخصي أو طلب المال أو جاه وإنما مرضاة الله وحبا لأرضه ووطنه.

كان "**الأمير عبد القادر**" عفيفا عن الأموال وكان يمتنع من اقتطاع أي شيء من الخزينة العامة لأغراضه الشخصية وكان يراقب موظفيه ويمنعهم من الإسراف[1]، وهذا دليل على مخافته من الله وزهده في الأمور الدنيوية.

2ـ4 ـ التواضع:

وصف لنا الكاتب تواضع "**الأمير عبد القادر**" وبساطته وذلك في أسلوب حياته وطريقة معيشته فقد كانت أمه لالة الزهراء هي بنفسها التي تقوم على خدمته وخدمة ضيوفه كما أن ممتلكاته كانت بسيطة جداً لدرجة أنها كانت تثير دهشة الضيوف إذ يقول الراوي: «ملأت لالة الزهراء الفنجان ثم قدمته لقدور برويلة الذي كلما دخل هذه الخيمة لتسجيل انطباعات الأمير وأفكاره اندهش من بساطة هذا الأخير ومن ممتلكاته، فقد كان برويلة، وهو الرجل البسيط. يملك من الغنى المادي أكثر مما يملكه الأمير»[2].

كما كان الأمير متواضعا لدرجة أنه يرفض كل مظاهر التفاخر والتباهي التي يمارسها السلاطين والأمراء في كل مكان وزمان إذ رفض لقب سلطان أو ملك وكانت كسوته بسيطة، كان الأكل عنده على الأكثر "**الرويبة**" وهي نوع من العصيدة مصنوعة من طحين وحليب في كمية صغيرة ولا يقبل الطعام إلا لقوته وليس لذاته في قلة الطعام وفرة للصحة هذا ما كان يقول[3]، وكان يطلب من عائلته التقليل من مظاهر

---

[1] ينظر: على محمد محمد الصلابي، سيرة الأمير القائد الرباني ومجاهد إسلامي، ص: 103.

[2] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 282.

[3] ينظر: محمد علي الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر الرباني والمجاهد الإسلامي، ص:103- 112.

التفاخر فيقول الكاتب واصفا ذلك «يمد يده لينزع النياشين الذهبية من صدر أخيه مصطفى الواحد تلو الواحد تحت دهشة هذا الأخير ورماها أرضا وهو يردد: ابتداء من اليوم م كل شيء سيتغير، لسنا في حاجة إلى هذا البذخ لكي نحارب الآخرين»[1].

ويقول في موضع آخر مخاطباً أباه «يا أبي وشيخي الكبير، قل لأعمامي أن يقللوا من مظاهر البذخ وأن يرتدوا ألبسة أكثر ملائمة للمعركة»[2].

ومن مظاهر تواضع "**الأمير**" نجده يشارك جنوده في القتال فمثلا في معركة **سيدى إبراهيم** يقول الكاتب واصفا إياه في المعركة «الكثير من الناس قالو أنهم رأوه يجابه الغزاة بصدر عار والدمينزف من أطرافه وبجانبه **سيدي ابراهيم** نفسه»[3]، فكان كثير ما يجرح في المعارك ويعرض نفسه الموت.

ولقد كان الأمير شديد التواضع مع جنوده، فعندما يدخل عليه البوعناني الرجل الذي كان يشرف على صنع معبر الملوية مبلالا من شدة المطر يخلع الأمير برنسه البني ويلبسه إياه لكي يقيه من قساوة الجو إذ يقول الكاتب: «في اللحظة نفسها دخل البوعناني كان يقطر ماء، ألبسته في حالة يرثى لها ووجهه ملي بالوحل والرماد، استأذن واعتذر على هيئته، قام الأمير من مكانه وخلع عليه برنسهُ الخشن.

– عذرا يا مولاي.

– ضعه على ظهرك. سيقيك من قسوة ديسمبر يمكنك أن تدخل علينا متى شئت وبدون استئذان لا حرج عليك في هذا الوقت الصعب، «ماذا وراءك يا السي

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 93-94.
[2] المصدر نفسه، ص: 96.
[3] المصدر نفسه، ص: 470.

البوعناني»[1]، وهذا يدل على تقدير الأمير لجهود البوعناني وتعبه من أجل حماية الدائرة.

2-5- السلم:

وصف المؤلف الأمير أنه يدعو للسلام والحكمة والأخوة شهد له العدو قبل الصديق إذ يقول القائد الفرنسي "**بيجو**" حينما اتجه ليقابل الأمير في **معاهدة التافنة** المشهورة.

«أنا لا أخاف أحدًا، أعرفكم جيدا وأعرف أخلاقكم»[2] ويرد عليه بعد اللقاء "**الأمير عبد القادر**": «وأنا ديني يحتم علي احترام وعودي، القبائل الله تحت وصايتي مجبرة على اتباعي»[3]

فالالتزام بالمعاهدات والاتفاقيات والوعود من تعاليم الدين الإسلامي، ومن أشهر المعاهدات معاهدة "**دي ميشال**" ومعاهدة "**التافنة**" فنجد الأمير كثيرا ما يتمسك بمعاهدات السلم ولو حاول الضباط الفرنسيين اختراقها فإذ يقول الأمير: «في مثل هذه الظروف اللهم اجعلني معتدي عليه ولا معتدي فالكلمة مثل الرصاصة عندما تخرج لا تعود وسأظل على عهدي »[4] ولقد كان "**الأمير عبد القادر**" يرفض القتل فعبارته المشهورة هي «حيث يسيل الدم بغير حق، تسقط الشرعية»[5].

---

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 450.

[2] المصدر نفسه، ص: 114.

[3] المصدر نفسه، ص: 215.

[4] على بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، ص: 126- 200.

[5] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 415.

ويقول الأمير أيضا «مازلت إلى اليوم عند قناعتي: النفس غالية ولا تملك حق إتلافها ومن يتلفها بغير حق، سيخسر بكل تأكيد مستقبله أو شيء منه»[1]، فالأمير يفضل السلم أما القتل فهو آخر حل بالنسبة إليه.

2-6 ـ محاورة الأديان :

وصف "**واسيني الأعرج**" الأمير بأنه كان متسامح مع الديانات كالنصرانية رغم تمسكه بدينه الإسلامي وما علاقته بالقس الفرنسي "**مونسينيور ديبوش**" إلا أكبر مثال فلقد كانت تربطهما علاقة صداقة وطيدة، "**فمونسينيور**" أعطى كل الثقة لأن يمنح دمه ونفسه لانقاذ الأمير من هذا اليأس الذي هو عليه وذلك مما رآه في الأمير من المبادئ والأخلاق والقيم الدينية التي جعلت من الأمير لأن يكون رمزا للوفاء، خصوصا أن "**مونسينيور**" عالم بالأديان فهو قس وكأنه وجد ذاته في ذات الأمير وهذا ما أخبرنا به المؤلف عندما قال: «اندهش "**مونسنيور ديبوش**" من كلام الأمير، فقد شعر كأن شيئا كان يعتمل في داخله»[2]

فقد كان "**مونسنيور**" معجبا أشد الإعجاب بالأمير حيث قال المؤلف «منذ أن فاوضه في السجناء تأكد له أن هذا الرجل لو امتلكته الكنيسة في صفها لتحول إلى قوة كبيرة لمواجهة كل الخيبات والانتكاسات»[3].

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 415.
[2] المصدر نفسه، ص: 51.
[3] المصدر نفسه، ص: 51.

ولقد كان "**مونسينيور**" كثيرا ما يزور الأمير في منفاه وقد كان هذا الأخير يكن له احتراما وحبا كبيرين إذ يقول المؤلف على لسان الأمير مستقبلا ضيفه: «أهلا بأخي العزيز، أهلا بالمرابط الكبير»[1].

يرد "**مونسينيور**": لي كل هذه المعزة أيها السلطان الكريم في قلوبكم؟

كانت صورتك السمحة دائما مطبوعة في عمق قلوبنا جميعا، ولن تمحى أبدًا ولكنا سعدنا لوجودها على مرأى من عيوننا باستمرار.[2]

كما ذكر لنا المؤلف أنه كانت مجموعة من نساء الطبقات الراقية كن يزرن الأمير في منفاه لكي يشكرنه على إنقاذه لأزواجهن أو أهلهن أيام الحرب إذ يقول «كان الأمير في هذه المرة في استقبال أناس خاصين أغلبهن من نساء الطبقات الراقية في المدينة أو اللواتي يأتين من بعيد لملاقاة هذا الرجل الذي أنقذ أزواجهن أو أهلهن من موت مؤد أيام الحرب القاسية»[3].

ومن مظاهر تسامح الأمير مع الديانة المسيحية المساجلات التي يجريها مع نساء أجنبيات في منفاه إذ يقول الراوي:«عندما انتهت المساجلة، قامت هي ومن كان معها لتدخل دار النساء، فقد كانت ضيفة لالة الزهراء أم الأمير التي كثيرا ما استقبلت نساء كثيرات يردن النقاش مع الأمير حول أمور شتى من السياسة حتى المسائل الأكثر حميمية»[4]، فقد كان الأمير يستقبل ضيوفه من شتى طبقات المجتمع ويتحاور معهم في جميع المسائل والمجالات.

---

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص:497.

[2] المصدر نفسه، ص: 497.

[3] المصدر نفسه، ص: 498

[4] المصدر نفسه، ص: 501.

الفصل الثاني

علاقة شخصية الأمير عبد القادر بالمكان

1ـ الأمير والمسجد

2ـ الأمير وساحة المعارك

3 ـ الأمير والسجن

يعد المكان من الأعمدة أو الركائز الأساسية في العمل الروائي، فهو بمثابة العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص بعضها ببعض، كما يعد الأرضية التي تتحرك عليها للأحداث ويشكل حدود الرواية وإطارها.

وقد تكون الأماكن مرفوضة أو مرغوب فيها، لأن اختيار المكان وتهيئته يمثلان جزءً من بناء الشخصية البشرية[1]، كما يكون المكان أليف أو موحش، مكان سعادة أو الشقاء أو الواقع المر أو الحلم الدافئ، الضياع أو المصالحة مع النفس أو الجماعة[2].

الانتماء إلى المكان هو الذي يحدد طبيعة العلاقة بالمكان من ناحية الغربة والألفة، فالمكان الأصلي هو المكان المحوري بالنسبة للشخصية إذا تحققت فيه مطالبها ورغباتها، وفي حالة افتقار هذا الجانب تبحث عنه في مكان آخر.[3]

لقد أشار "**واسيني الأعرج**" في روايته للكثير من الأمكنة والتي سنختار أهمها وندرس علاقتها بشخصية "**الأمير عبد القادر**".

---

[1] حميد لحمداني، بنية النصر السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، دم، 2000، ص: 61.

[2] ينظر: هيام اسماعيل، رسالة ماجستير، مخطوطة بجامعة الجزائر، ص: 36.

[3] ينظر: سعيد يقطين، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضة، ط1، 1997، ص: 92.

1- الأمير والمسجد:

يعد المسجد من الأماكن المفتوحة بحيث يقول عنها المهدي عبيدي «قد تدل هذه الأمكنة على الطمأنينة والسكينة في الوقت نفسه قد تدل على الحزن والوحدة والخوف»[1] ويمثل المسجد أو الجامع دار عبادة للمسلمين ومكان لملتقى رؤساء القبائل يتدارسون فيه جميع شؤونهم ويكتسي المسجد في رواية الأمير أهمية خاصة من خلال ما يصطلح به من أدوار ووظائف و تأثيرات.

ولا يظهر المسجد في هذه الرواية مكان للصلاة فحسب، وإنما أيضا مكانا لإعلان البشرى السارة كمبايعة الأمير بالمسجد الوحيد بمدينة معسكر أين يجتمع الناس للصلاة.

من بين المساجد التي كان لها وقع على شخصية الأمير عبد القادر، مسجد الحسن في عين البيضاء حيث تمت البيعة في هذا المسجد الذي اختاره الشريف محي الدين لما لهذا المسجد من مكانة تاريخية حافلة بالأمجاد، لقد كان منبرا علميا ومنطلقا للمجاهدين عام 1797م ضد الغزو الاسباني، وشيد الباي محمد بن عثمان في مجازاته معهدًا علميا تخرج فيه أعداد كبيرة من الطلبة شاركوا في تحرير وهران من قبضة الإسبان، واختاروا موعدا ليوم التوقيع على المبايعة الثالث عشر من رمضان 1248والرابع من شباط فبراير عام 1833، ويقع هذا المسجد جنوب مدينة معسكر في ضاحية العين البيضاء[2].

جلس الشريف محي الدين وإلى جانبه أولاده وعندما دخل رؤساء القبائل الجزائرية وقف عبد القادر بن محي الدين وفي عينيه بريق العزم والإخلاص والإيمان وقد تزمل برداء الهيبة التي اشتهر بها ووسامة المحيا وبياض البشرة وتناسق الجسم[3].

---

[1] مهدي العبيدي، جماليات المكان في ثلاثيات حنا مينيا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دط، دمشق، 2011، ص: 44.

[2] علي بن محمد الصلاحي، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، ص 110- 111.

[3] المرجع نفسه، ص:111.

ويصف لنا المؤلف المشهد فيقول:«وقف الشيخ محي الدين في الوسط كانت الأمطار قد عادت للسقوط ولا تسمع إلا نقراتها وهي تتكسر على سطح غطاء الخيش البني الذي يغطي ساحة المسجد بدأ عبد القادر في قراءة صك البيعة بتأن قبل أن يخرج الجميع،كل باتجاه مهمته»[1]

خاطب زعماء القبائل والأعيان وكل الحاضرين بخطبة البيعة المشهورة. فلاقت هذه الخطبة حماسا منقطع النظير من جموع الحاضرين وضج المسجد بأصوات الرجال «الله أكبر »[2] فلقد كان الجميع يكنون له الاحترام والإعجاب والولاء. ومن بين المساجد التي مر بها وكان لها وقع على شخصية "**الأمير عبد القادر**" مسجد "**سيدي ابراهيم**" حيث أدى صلاته الأخيرة في هذا المقام حسب ما كان متفق عليه مع القوات الفرنسية إذ يصف لنا المؤلف حالة الأمير في هذا المسجد: «استقام الأمير في مقدمة المجموعة بدون أن يلتفت وصلى ركعتين، جلس قليلا ورفع يديه ثم تمتم بصمت، اشتعلت في داخله الحرائق الأخيرة»[3].

فقد كانت مشاعر الألم والأسى وحرقة فراق الوطن بادية عليه، وهذا ما أبداه عندما رأى الطيور تحوم في السماء مخاطبا "**قدور بن علال**" الذي كان هو الآخر يعاني مرارة الهزيمة والفراق.«شفت ياالسي قدور، الطيور نفسها تهاجر عندما تنغلق في وجهها سبل الدنيا، يغفر شبابك وسنك لحزنك ولكآبتك ما يزال في الدنيا متسع لكي تنفع أرضك وبلادك بالشكل الذي تشتهيه»[4] فبالرغم من الظروف المحيطة به إلا أنه كان متفائلا مسلما لأمر الله إذ يقول: «معك حق يا ابني، لا شيء يضاهي الحرية، لكن الأقدار أحيانا أقوى من كل الإرادات لسنا أول من يختار حل المنفى على الهزيمة

[1]واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص89

[2]علي بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، ص: 112.

[3]واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 477.

[4]المصدر نفسه، ص: 478.

المرة التي تبقى في الذاكرة مدة طويلة»[1] فهو بذلك يهدئ من مرارة الهزيمة التي اجتاحت صدر رفيقه "**قدور بن علال**" ويعطيه جرعة من الأمل والحياة. واصل الأمير سيره عبر الجبال التي عبر منحدراتها وتذكر كل لحظة عاشها وقاسم سكانها حياتهم بحلوها ومرها وصولا بذلك إلى مسجد الصخرة بالغزوات الذي لقي فيه الدوق "**دومال**" مصحوبا بالمترجم الرئيسي «روسو»، ومكث فيه ليلته الأخيرة في الجزائر وقرأ فيه القرآن.[2]

ولقد وصف لنا المؤلف شعور الأمير بالحزن والأسى إذ يقول «كان جالسا في زاوية حجرة صغيرة تحت نور خافت لقنديل زيته لا يتوقف عن بعث أدخنة خانقة، بدا وجه الأمير نحيفا وعميقا تحت تأثير الضوء القليل، وتعمقت الأخاديد التي نبتت في جنبات وجهه فالتهمت أجزاء كثيرة من بهائه المعتاد وتوهجه»[3] فقد كان الأمير مشتتابين الماضي الحافل بالبطولات والمستقبل المجهول الذي يخافه في حال عدم التزام فرنسا بوعودها، ويقع هذا المسجد بمحاذاة الميناء الذي ستيم منه ترحيل الأمير إلى المنفى، وصف لنا المؤلف المسجد فيقول: «كانت الحيطان مغلقة لا شيء يسمع إلا هدير البحر وعواء السفن الخشنة وهي ترسو في الميناء المحاذي المكان حجز الأمير».[4]

لقد كان المسجد في ليلته الأخيرة مع حركة الجنود المحيطين به بمثابة سجن عكس ما كان يمثل مكان سكينة وهدوء.

---

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 478.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص: 480.

[3] المصدر نفسه، ص: 480.

[4] المصدر نفسه، ص: 481.

2. الأمير وساحة المعارك:

كان الأمير قائد عسكريا محنكا، وبحكم خبرته للمنطقة كان يختار المكان الأنسب ليكون ساحة للمعركة وحتى يكبد العدو خسائر بشرية ومادية قيادة "**الأمير عبد القادر**" للمقاومة كانت بهدف إقامة دولة جديدة وإحياء رموزها الوطنية، ووضع لدولة حدود، اتخذ مدينة معسكر عاصمة لإمارة ومقراً للقياة العسكرية، اعتبر تاقدمت منطقة من أجل خوض الكفاح ولأنها تقع وراء تضاريس معقدة ، وكما اتخذ الزمالة عاصمة سياسية له بعد سقوط تا قدمت.

إستراتيجية الأمير العسكرية والسياسية تهدف إلى إخراج العدو من كامل التراب الوطني «ولهذا فإن معرفة الأمير الجيدة للميدان تمنحه هو وجيش تفوق على القوات الفرنسية. فكانت تسمح له بفضل حركتيه ومصالح استخباراته باستخراج العدو إلى الأماكن الأكثر ملائمة، وقد كان الجيش الفرنسي على عكس من ذلك يبحث عن حرب المواقع»[1] لهذا تجد الأمير في معاركه يغير مكانه في كل مرة في مواجهته للعدو، ودرايته الكبيرة الواسعة لدولته جعلته يجره ويحاصره في مناطق ضيقة لا يمكنه الإفلات منها.

لهذا تكون انتصاراته عظيمة، يتحين للعدو الفرصة فيهاجم أما الجيش الفرنسي فكانت خطواته مكشوفة، على عكس الأمير الذي كان يتحصن بالقلاع والأبراج والحصون «مدينة معسكر تطوق نفسها بسور قديم يعرض خمسة أقدام وعلو يصل إلى تسعة أمتار ويحصن مثلث في الجوانب في المرتفعات المحيطة بالمدينة»[2].

[1] علي محمد محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر قائد الرباني والمجاهد الإسلامي، ص:226.
[2] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 80.

الأمير رجل حرب محنك من خلال انتصاراته وشجاعته كفارس في ساحة المعركة، تظهر عليه ملامح الحماسة والفرح والحزن والغيض والغضب في الحروب التي قادها، في معركة سيدي إبراهيم و**عين تيموشنت** تأثر الأمير كثيرا عندما علم بذبح السجناء وأستاء «في تلك الأثناء وصلت تقارير التجاني تؤكد أن فرنسا كانت قد خصصت مبلغا ضخما لمن يخلص الأسرى، وأمام هذا الوضع قام ابن التهامي بقتل الأسرى، والذي اعتبره الحل الأمثل»، كانت له هذه الحادثة بمثابة خيبة أمل قال: «مقتل سجين واحد يؤديني فما بالك بكل هذا العدد»[1]، وكذلك نجد الموقف نفسه الذي أثار غصب وسخط الأمير في هزيمته في معركة نقض معاهدة تافنة حينما أخذ الأمير برأي أشراف وأعيان القبائل في إشعال الحرب على العدو حينها كان الأمير يجنح دائما إلى السلم ولا يرى في الحرب إلا المضرة، ففرضوا عليه مواجهة العدو لكن هذه الحرب لم تكن حليفه لهم وانهزم الأمير هو وجيشه« لم يكن يبدو عليه القلق ظاهريا ولكنه كان مرتبكا بالفعل، لأنه كان يعرف، ماذا ينتظره ولا يكفي صرخات مؤيديه»[2] كان الأمير يعرف أن الحروب مدمرة لكن حلفاءه كانوا عازمين على ذلك فكانت الضربة قاضية بالنسبة له لأن الأمور كانت خارجة عن سيطرته.

3ـ الأمير والسجن:

تبرز أهمية المكان ممثلة في الحالات الشعورية المتعددة في رواية كتاب الأمير والتي كانت نتيجة تغير المكان من مفتوح إلى مغلق ومحدود، فالمكان يتحكم في التصرفات والسلوكات الصادرة من الشخصيات.

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 415.

[2] المصدر نفسه، ص:298.

وهذا ما نجده في حالة الأمير عندما كان ومن معه في طريقهم إلى قصر "**هنري**" بجزيرة "**لامالاق**" يقول لذويه «نحن الآن بيد الله والله وحده يعرف مصائرنا... الذي أعرفه حتى هذه الساعة أنهم احترموا دائماً وعودهم وسهروا على تنفيذها. لا أفهم إلى الآن إذا ما كنا ضيوفا أو سجناء ؟»[1].

ولكن بعد دخول الأمير القصر وعلم بأنهم يغلقون كل شيء بالقضبان الحديدية تحولت مشاعر الأمير إلى الخوف والقلق وخيبة الأمل من أن لا تفي فرنسا بوعودها.

تغيرت نظرة الأمير لهذا المكان، بالرغم من أنه قصر إلا أنه صار يراه سجنا مظلما، موحشا تملؤه العزلة والفراغ. وبدأ يعبر الأمير عن هذا المكان وعن حاله، قال الأمير للكولونيل: «ومن عجب ما يسمع أن كنت أرى نفسي ضيفكم، فجعلتموني أسيركم»[2]، ولما اقترح عليه الكولونيل قيادته إلى باريس لاكتشاف حضارتها، رفض الأمير قائلا: «أما أنا فلا أرى فرنسا الآن إلا سجنا لي ولمن معي»[3]، «لا فرق إذن عندي بين هذا القصر وباريس»[4] وبعث الأمير رسالة "**لديبوش**" وهو يصف له فيها مدى حزنه «الحمد لله وحده، من الذين يعانون آلام الهجر والوحدة . السلام على من تحبه جميعا كأب إلى صديقنا وحبيبنا صاحب الغبطة "**ديبوش**"، قس الجزائر السابق، وحده يعرف الحزن العميق الذي في القلوب والحرمان الكبير والحاجة، ويعرف كيف يخفف سطوة الأحزان والآلام. السلام عليك...»[5] صارت كلها سجنا.

---

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص:418.

[2] المصدر نفسه، ص: 422.

[3] المصدر نفسه، ص: 423.

[4] المصدر نفسه، ص: 423.

[5] المصدر نفسه، ص:439.

ويصف الكاتب الأثر العميق لهذا السجن لدى الأمير وذويه في قوله: «صمت الأمير قليلا، شعر كأنه لامس الجرح العميق الذي كان يحاول أن يخبئه عبثاً عن الأعين الكثيرة التي كانت معه، بعد ما سمع "**مونسينيور**" وهو يقول: المنفى ليس فقط إحساسا بالفقدان ولكن إحساسا كذلك بالإهانة والتضاؤل والموت البطيء»[1].

ونلمس ذلك الأثر أيضا في قوله "**لسي مصطفى**" عندما أراد أن يجرب الحصان الذي أُهدي للأمير:« لقد كبرنا على الفروسية يا "**لسي مصطفى**"، والحجز والمنفى أضعفا من حواسنا»[2] وبعد ما جرب "**لسي مصطفى**" الحصان في الهواء الطلق، انسحب المرض منه وشعر بلذة غريبة، فيقول: «المنفى لا يحزن فقط بل ولكنه يهلك صحة الناس»[3].

كذلك الأمير بعدما أخبره "**لويس نابليون**" بحريته، «تدحرج الأمير نحو النافذة التي شرعها عن آخرها لأول مرة منذ أن عبر بهاء هذا المكان وحجره ومغالقه، ولأول مرة يستنشق هواء لا شيء فيه رائحة الشجر والزهر، لأول مرة يرى الحديقة الإنجليزية الواسعة... وخضرة الأشجار... ولأول مرة يسمع خرير نهو اللوار...، وحركة المرور والقطارات... لأول مرة يتلذذ للآذان المنبعث من قلعة قارسوني، في القصر، لأول مرة يشم رائحة أحياء اسطنبول وبروسة ودمشق التي بدت له أقرب إلى قلبه من نفسه...»[3].

---

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص:448 .

[2] المصدر نفسه، ص: 476.

[3] المصدر نفسه، ص: 477.

وخط لديبوش رسالة معترفا له فيها بجميله، «صاحب الغبطة العالي، استطيع اليوم أن أقول لكم أن خيركم قد تم وأن الله قد سدد خطاكم، وإنما زرعتموه قد ثبت...»[1].

ولكن بعد لقاء الأمير بالرئيس "**نابليون**"، واستجابة البرنس لكلمته بدأت مشاعر الخيبة واليأس تنقشع، واقتيد الأمير بصحبة البرنس للتجول في قصر "**سان كلو**" وما يحويه من كنوز وآثار، وأهداه الرئيس "**نابليون**" حصانا أبيضا لما ركبه الأمير تمنى أن يستعيد سهول معسكر ومتيجة والطريق التي لا تحدها إلا الجبال[2].

فالحرية وتحول المكان من مغلق إلى مفتوح يؤثران في "**لالة الزهراء**" أم الأمير، لقوله: «طوال أيام الحجز، كانت أمي لا تحرك جسدها إلا بالاتكاء على عصاها، ولكن منذ أن أصبحنا أحرار بفضل كرمكم، رمت ثقل السنين وصارت تتحرك بدون عصى كالشاب... قلت في أعماقي، سبحان الله ماذا تفعل الحرية في الناس»[3]، «... أكبر عدو للصحة هو فقدان الحرية ...»[4].

لقد تعددت علاقة الشخصية بالأمكنة في رواية الأمير، أوردنا منها ما تعلق بالحالات الشعورية، وسنتحدث عن العلاقة الاجتماعية بين المكان والشخصية.

«ومهما انتقلت الشخصية عن موطنها الأصلي، فإنها تظل مرتبطة به، وبالرغم لما يوفره لها هذا المحيط المجاور من حاجيات، والذي يخلق نوعا من الألفة بهذا

---

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 456.

[2] المصدر نفسه، ص: 462-464.

[3] المصدر نفسه، ص: 464.

[4] المصدر نفسه، ص: 445.

المكان، إلا أنه يظل مرتبطا ببيئته الاجتماعية وبمكانه الطبيعي الذي تمخضت عنه أفكاره وعاداته وتقاليده التي تنعكس على سلوكاته، وتعبر عن هويته وانتمائه»[1].

ويتجسد هذا في الحوار الذي جرى بين الأمير وأحد الزائرات له، وبحضور "**مونسينيور ديبوش**"[2]:

– أرى أن الزواج عندكم محكوم بفوضى كبيرة؟

– أفصحي قليلا، لم أفهمك جيدا. فهناك من يتهمني بالانضباط الزائد في علاقاتي وزواجي ولا أشبه أسلافي.

ولم يستطع أن يكتم ضحكته الخجولة التي تسللت من شفتيه.

– طيب، لأقلها لك بدون مواربة ولا انزلاقات لغوية. لماذا تتزوجون نساء كثيرات وليس واحدة مثلما نفعل نحن في ثقافتنا.

ابتسم الأمير بحياء مرة أخرى، ثم مد يده نحو لحيته، مسد عليها قليلا، ثم أجاب بثقة كبيرة ولم يبد عليه ما يربكه كما كانت السيدة تتصور:

– قولك في ثقافتنا ببين أن هناك عادات وتقاليد وثقافات وخصوصيات.كل دين له ميزة المكان والقوم الذين نزل فيهم، و"**مونسينيور**" يتفق معي، لقد تذاكرت معه في هذا الموضوع طويلا وأعرف رأيه جيدا. لا توجد أديان خارج الناس الذين احتضنتهم ورسخت أشواقهم وأفكارهم إلى الحنين والكمال وحنينهم إلى الكمال.

---

[1] مسعودي العلمي، تحولات الشخصية الروائية وتفاعلاتها مع الحيز رواية كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج نموذجا، مجلة المقاليد: العدد الثاني، ديسمبر 2012، ص: 22.

[2] المصدر نفسه، ص:401.

هز "**مونسينيور**" رأسه بالموافقة بدون أن يتدخل. بينما واصل الأمير ترتيب إجابته للمرأة التي كانت تبحث عن الإحراج أكثر مما كانت تبحث عن إجابة ترضي فضولها.

سيدتي الطيبة، نقوم علانية بما تقومون به سريا. بين المرأة والرجل سحر رباني خاص وجاذبية لا تقاوم. الإنسان قد يحب المرأة من أجل عينيها، أخرى من أجل شفتيها، ثالثة لجسدها وأخرى لنور علمها وفكرها وانفتاح قلبها، عندما نعثر على مرأة تحمل كل هذه الصفات مثلك، سنكتفي بواحدة ولن نختار غيرها ونقبل أن تموت في أحضانها. الجمال خلقه الله للرجال والنساء ودينا ودينكم لم يعملا إلا على تحديد العلاقات بدون إقصائها. هل هذا يكفي أم نضيف شيئا آخر ·

شكرا يا سيدي، يكفي لهذا اليوم. كلامك من طيب ومقنع.

إذن المكان يلعب دورا هاما في تفصيل الأفكار والعادات والتقاليد الاجتماعية، بالنسبة للشخصية.

وإن حركة الشخصية وتنقلها من مكان إلى آخر وخاصة إذا كان من الوطن الأم إلى بلد المنفى بلد العدو، ينعكس على سلوكاتها ومشاعرها، وهذا ما جعل الأمير يمقت فرنسا عندما عرضت عليه الحكومة قرار تبني فرنسا كوطن، ومقابل ذلك تعطية الحكومة قطعة أرض غنية. وتكون حياته مساوية لحياة أي مواطن فرنسي محترم[1]، «قفز الأمير من مكانه وبدون أدنى تفكير: والله لو جُمعت كل كنوز الدنيا في برنسي وطُلب مني أن أضعها مقابل حريتي لأخترت حريتي. لا أطلب لا شفقة ولا

[1] ينظر: واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 430- 431.

منة، أطلب فقط تطبيق الالتزامات التي اتخذت تجاهي... لو كنت أود أن أختار هذا النوع من الحياة لفعلت ذلك من اللحظة الأولى»[1].

ويعبر الأمير من شعوره وهو يودع بعينيه مدينة وهران، متوقفا عند فصل الغريب الذي ملأ قلبه وعينيه من كتاب "الاشارات الإلهية":

«يا هذا... فأين أنت من غريب طالت غربته في وطنه، وقل حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه ؟ أين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة له على الاستيطان؟ قد علاه الشعوب وهو في كن، وقلبه الحزنحتى صار كأنه شنّ..»[2]

ويصف الأمير "**لديبوش**" شعوره بعد فقدان الوطن، «...الحرية التي لا شيء يضاهيها يا "**مونسينيور**" والشقوق التي يحدثها فقدان الأرض الأولى فيها، وأنت سيد العارفين.

– أعرف أيها السلطان الطيب أن الإنسان عندما يغادر تربته كأن جلده ينزع منه وهو حي، عشت قليلا مما تعيشه أنت اليوم..»[3]

و بعد دراستنا لعلاقة الأمير بالمكان في رواية الأمير "**لواسيني الأعرج**" نلاحظ أهمية المكان من ناحية انغلاقه وانفتاحه، ومدى تأثيره على شعور الأمير وسلوكاته، فالمكان المغلق يجعل الشخصية في عزلة من الحياة وعن تحقيق الغايات، أما المكان المفتوح فيعطي للشخصية طعم الحرية والحياة ويفتح أمامها المجال لتحقيق ما تسمو إليه دون حواجز. كذلك تنقل الشخصية من مكان إلى آخر يتبعه اختلاف الثقافة والمبادئ في العلاقات الاجتماعية، وهذه الشخصية إما أن تتمسك بثقافتها، أو تتركها، وهذا ما جعل الأمير يتمسك بثقافته وعاداته ودينه ويحترم غيرها.

ويتضح أيضا أن انتقال الشخصية لمكان آخر لم يغير من محبة الأمير لوطنه بل زادته صلابة وتحملا، عكس شخصية "**مونسينيور**" لقد توطدت علاقته بالمكان بعد انتقاله إلى الجزائر، وازداد كرها لباريس وسكانها.

---

[1] واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 431.

[2] المصدر نفسه، ص: 412.

[3] المصدر نفسه، ص: 400.

الملحق

سيرة مختصرة للأمير عبد القادر الجزائري

ولد في 25 سبتمبر 1807 بقرية القيطنة، تلقى دروسه الابتدائية في مسقط رأسه تحت إشراف والده "**محي الدين بن مصطفى**"، فأخذ منه الكتابة والقراءة، وختم القرآن قبل أن يبلغ الحادية عشر، وأصبح فارسا يشار إليه، تعلم مبادئ شتى العلوم اللغوية والشرعية، والفلسفية والتاريخية والفقهية[1].

أدى فريضة الحج مع والده، وفي طريق العودة زار دمشق وبغداد والإسكندرية، سبقت عودتهم سقوط العاصمة بقليل. وبعد الجهود التي بذلها محي الدين للتصدي للغزاة رأى الناس مبايعته، ولكنه لكبر سنه دفع المواطنين لمبايعة ابنه عبد القادر في الثالث من رجب 1248هـ/ 1832م.[2]

قام الأمير ببناء الدولة، وأسس جيشا نظاميا، كان حريصا على تحرير الوطن، واهتم بإنشاء خط دفاعي للصمود أكبر وقت أمام الهجومات الفرنسية، واعتمد حرب العصابات وكبد العدو خسائر ثقيلة. كان كثيرا ما يجنح للسلم امتثالا للدين الإسلامي، ومن أشهر معاهداته معاهدة "**ديمشال**"، ومعاهدة "**التافنة**"[3].

قرر الأمير وقف الحرب لما أحس أنه فقد المعاضد والمساعد وحقنا للدماء، مقابل فتح باب الهجرة أمامه مع من يريد مرافقته إلى عكا أو الإسكندرية[4].

و بعدما ركب "**الأمير الأصمدي**" مع أتباعه تغيرت الوجهة نحو ميناء طولون، فعلم الأمير بأنه صار أسيرا في يد الفرنسيين.

---

[1] ينظر: على بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر، ص: 101.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 104-108.

[3] ينظر: المرجع لنفسه، ص: 120- 200.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص: 236- 237.

نقل الأمير إلى "**بو**" ثم "**آمبواز**" وعانى من ويلات التشرد والحرمان والعزلة، واعتبر نفسه ميتا في صورة حي كما قال "**لديبوش**".

بقي يطالب بايفاء العهد ونقله لديار الإسلام حتى نال مطلبه غادر السجن بعد خمس سنوات ليلها كنهارها، ونقل إلى تركيا في كانون الأول 1853م، وبسبب كثرة الزلازل في بورصة غادر الأمير إلى دمشق عام 1855م، وتفرغ فيها للعبادة والتأليف وإقامة حلقات العلم.

أهم كتبه "**المقراض الحاد**"، و"**ذكرى العقل**" وتنبيه الغافل[1].

تعرض الأمير لحملات تشويه مخزية وزعموا انتسابه للماسونية كي يسقط من أعين الناس كبطل.[2]

وافته المنية في ماي 1883, وشيعته دمشق بالدموع والقصائد الرثائية، ودفن في الصالحية في "**دمشق**"[3].

نقلت رفاة الأمير إلى الجزائر عام 1966م[4].

" لقد قال الأمير لحظة الغدر به واعتقاله، ان الجزائر عربية وتبقى عربية حتى لو احتليتموها مائة سنة، ويقال، إن التاريخ لقاء بين إرادة وحدث، أما إرادة فكانت "**عبد القادر**" ومقامته الشعبية، وأما الحدث فكان بعد قرن من ذلك وهو كفاح الشعب الجزائري الذي نجح في التحرر من الغزاة المستعمرين.[5]

---

[1] ينظر: علي بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر، ص: 269- 282.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 318.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 364.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص: 366.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص: 368.

ملخص الرواية

تتحدث رواية "**كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد**" **لـ**"**واسيني الأعرج**" عن سيرة شخصية تاريخية وطنية جزائرية "**الأمير عبد القادر**" حيث حملت واقع المجتمع الجزائري، مزج فيها الكاتب الجانب التاريخي والواقعي، ويروي الكاتب الأحداث الكبرى على مسار شخصية الأمير عبد القادر خلال فترة صراعه مع الجيوش الفرنسية، ما بين 832 و1847 ثم أسره ونفيه إلى فرنسا وسجنه في قصر "**أمبواز**" ما بين 1847و 1853.

استهل الكاتب روايته على لسان "**جون موبي**" خادم "**مونسينيورديبوش**" الأسقف الفرنسي الأول في الجزائر، والذي تعهد سيده بتنفيذ وصيته وذلك بنقل رفاته ودفنه في أرض الجزائر، حيث فعل "**جون موبي**" وكان رفقه الصياد المالطي الذي كان شغوفا فالسماع قصه "**مونسينيور**"، بدأ "**جون موبي**" يسرد الحكاية مبتدأ بتعيين "**مونسينيور ديبوش**" كأول قس في الجزائر واستمر في الحديث إلى غاية تعرفه على "**الأمير عبد القادر**" الذي تجمعه بينهما صداقة قوية، إلى أن تنتقل بنا الرواية إلى آخر مشاهدها حول وعد "**مونسينيور**" بتحرير الأمير من المنفى في قصر "**أمبواز**" في 1848/01/17.

ولقد عند الروائي إلى تقسيم الرواية إلى ثلاث أبواب هي: باب المحن الأولى، باب أقواس الحكمة، وباب المسالك والمهالك.

و يتفرع كل باب إلى وقفات، حيث كان عددها اثنا عشر وقفة، وعلى إثر هذه الوقفات اتخذ منها مكان تاريخي هام، هو الاميرالية، وهي بناية قديمة تطل على البحر في ميناء الجزائر، هذه الأميرالية التي ينطلق منها حكيه وسرد للأحداث على إثر هذه

الوقفات، وهي أربعة أميراليات وإليه ينتهي حكيه وسرده وذلك وفق تتابع تاريخي محكم للأحداث وتطورها.

في بادئ الأمر وكأن الرواية عبارة عن رسالة أو مرافعة للدفاع من الأمير أمام "**لويس نابليون بونابرت**" رئيس الجمهورية الفرنسية من طرف الأسقف الجزائر السابق "**ديبوش**". والرواية تقوم على سرد حياة "**الأمير عبد القادر**" وآدائه البطولي أخرى متمثلة وفي حين آخر تقوم الرواية كذلك على سرد تفاصيل شخصية الأسقف الفرنسي "**مونسينيور ديبوش**" قس الجزائر الذي قضى جزءا من حياته في الجزائر قائما فيها على الكنيسة، وعلى الأعمال الخيرية وقضى الجزء الآخر في فرنسا. تسرد الرواية من خلال هذين الشخصين والمواقف التي اعترضتهما. أما الأمير فقد اعترضته مقاومته ضد الاستعمار الفرنسي من أول مقاومة إلى آخر مقاومة من جهة وعلاقته المتذبذبة ببعض القبائل الجزائرية المتعصبة. وعلاقته التي تعقدت في مراحلها الأخيرة مع سلطان المغرب مولاي عبد الرحمان وأمراءه، ثم وضعه المعقد أكثر في المنفى بـ"**طولون**"، فـ "**بو**" ثم "**أمبواز**" ليستقر هناك، وموقفه الذي طالب بتنفيذ فرنسا لوعدها بالسماح له بالذهاب إلى "**الإسكندرية**" أو "**عكا**" أو "**تركيا**" أو "**سوريا**" أما "**مونسينيور**" فقد اعترضته السلطة لعدم النظر في اتخاذ قرار إطلاق سراح الأمير، لأنه عانى نفس الأمر الذي عاشه في المنفى، في ايطاليا واسبانيا، فأراد "**مونسينيور**" أن يكتب رسالة إلى"**لويس نابليون**" يدافع فيها عن الأمير واحترام فرنسا لكلمتها وشرفها بإطلاق سراح الأمير. فكان يختار الألفاظ الدقيقة ليفتتح بها رسائله لإقناع الفرنسيين بما فعل الأمير وبراءته أمام الله مما حصل للأسرى حروبه مع فرنسا، وكل هذا والاستشهاد لم يكن إلا البعض بعد الوثائق مراسلته للأمير والمعاهدات في قصر "**أمبوار**" والحديث معه مىں الأمير والسلطة الفرنسية. والتي استند عليها "**مونسينيور**".

مراسلة "**نابليون بونابرت**" رئيس الجمهورية الفرنسية، والذي وافق على طلبه وجاء رده سريعا بتحرير الأمير من منفاه وذلك بعد زيارة خاصة من طرف الرئيس "**لويس نابليون**" لـ "**بوردو**" من أجل تفقد أوضاع الأمير، كان ذلك يوم 16 أكتوبر 1852 وهي المرة الأولى التي يفتح فيها أبواب القصر على آخرها ترحيبا بمجي الرئيس الفرنسي، وهكذا تحقق ما كان يرجوه "**مونسينيور**" وما كان يتمناه "**الأمير عبد القادر**"، وعندما خرج الأمير لزيارة الرئيس في قصره فاستقبلوه بحفاوة كبيره. كما التقى الأمير فيما بعد في باريس "**بمونسينيور**" وشكره ودار بينهما حوار حافل بالمشاعر الحارة، وبعد مرور خمس سنوات، من السجن، أخير إطلق سراح الأمير وعائلته وبعد الانتهاء من الإجراءات الخاصة بالرحلة اتجه الأمير وعائلته إلى تركيا وهناك التقى "**بمونسينيور**" ثانية وأهداه برنوسه، كما تعود بنا الرواية إلى الاميرالية، حيث تنتظر الناس وصول رفاة المسيحي"**مونسينيور ديبوس**" بين الكثير من أحبابه وأصدقائه ومن بينهم "**جون مويي**" صديقه.

وفي خضم هذه الأحداث من صولات وجولات تأتي الرواية كشهادة أو وثيقة أو رسالة حية تعبر عن المسكوت عنه، وخاصة أن الرواية تناولت قضايا تاريخية هامة متعلقة ببعض الفقرات من تاريخ الجزائر والاستعمار الفرنسي.

التعريف بالروائي واسيني الأعرج

ولد "**واسيني الأعرج**" عام 1954 بـ "**تلمسان**"، وقد عانى في طفولته من قسوة الحياة الريفية وويلات حرب التحرير، عاش يتنقل بين قرينة وتلمسان ووهران ودمشق، والجزائر العاصمة، و"**لوس أنجلوس**" وأخيرا "**باريس**"، يعتبر "**واسيني الأعرج**" الكاتب الأكثر تنقلا من أبناء جيله، يدرس الأدب في جامعة السوربون بباريس منذ عام 1994.

ألف "**واسيني الأعرج**" أكثر من عشر روايات ترجمت إلى عدة لغات منها الفرنسية، نذكر على سبيل المثال: حارسة الظلال (1996)، مرايا المكفوفين (1998)، زهور اللوز (2001)، شرفات بحر الشمال (2003)، كتاب الأمير (2006) --- تحصل في أكتوبر 2001 على "**جائزة الرواية الجزائرية**" كتكريم لأعماله الأدبية.

و في سبتمبر 2006 على "**جائزة المكتبيين الجزائريين**"، وفي 2007 توجت روايته الأخيرة "**كتاب الأمير**" بأعلى وسام وهو: "**الجائزة الكبرى للأدب العربي**".

وفي ختام بحثنا، ومن خلال دراستنا لرواية الأمير، مسالك أبواب الحديد، توصلنا إلى نتائج نذكر منها:

- وصف الكاتب شخصياته من خلال المواقف والعبارات التي اتخذتها والأقوال والأفعال.
- مثل كل من "**الأمير**" و"**مونسينيور**" شخصيتين بطلتين حتى قال عنهما واسيني الأعرج وجهان لعملة واحدة، وذلك من خلال دفاعهما عن الخير والعدل.
- لقد شهدت الوقفة الوصفية مكانا حضوريا في الرواية، وتنوعها بوصف الأمكنة والشخصيات التي أضفت على الرواية جمالا فنيا.
- صور الكاتب "**واسيني الأعرج**" الحروب التي خاضها الأمير عن طريق توظيفه لتقنية التلخيص والحذف ويفضلها تمكن الكاتب من تلخيص الأحداث التي وقعت في مدة زمنية طويلة، واكتفائه بذكر بعض العبارات مما زاد في بناء الرواية بناء ا متكاملا.
- توظيف الكاتب في هذه الرواية لنوعين من الأماكن وهي الأماكن المفتوحة والأماكن المغلقة والتي كان لها تأثير على شخصية الأمير.
- ذكر الكاتب مجموعة من الشخصيات التاريخية مثل ابن عربي و ابن خلدون.
- تنوعت الاستباقات الخارجية والداخلية، ووضعها كعنوان خارجي يسبق الحكي مما تجعل القارئ يتوقع الأحداث قبل الإطلاع عليها.
- تميز المشهد الحواري من شكله الخارجي بطوله مما ساهم في بناء الحوار في الرواية والغرض منه تحقيق التساوي بينزمن الحكاية والخطاب.
- تعبر الرواية عن حوار الحضارات تجسدت في محاورة كبيرة بين الإسلام والمسيحية، محاورة بين الأمير من جهة و"**مونسينيور**" "**ديبوش**" من جهة ثانية وهو ما جسدته الحوارية في الرواية.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نرجو من الله أن نكون قد وفقنا ولو قدرا بسيطا في هذه الدراسة، فما كان من خطأ فهو منا وما كان من صواب فهو من الله عز وجل.

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر :

- واسيني الأعرج، كتاب الأمير، دار الأدب، ط2، بيروت، 2008.

ب- المراجع العربية :

1. إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم، دط، عمان، 2009.

2. الأعرج واسيني، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1986.

3. بشير سلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)، جدار المعرفة، دط، دم، 2006.

4. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء -الزمن- الشخصية) المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1990.

5. حميد لحمداني، بنية النصر السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، 2000.

6. آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دن، ط2، منقحة، 2015.

7. فليح الركابي، تجاذب الحضارات في الرواية العربية، دار الضفاف، دط، دم، 2015.

8. نجود عطا الله الحوامدة، الخطاب الروائي في رواية متاهة الأعراب في ناطحات السحاب للروائي مؤنس الرزاز، وزارة الثقافة الأردنية، ط1، دم، 2009 .

9. سعيد يقطين، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي الدار البيضة، ط1، دم، 1997.

10. عبد الله رضوان، النموذج وقضايا أخرى، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، 1983.

11. عدنان خالد عبد الله، النقد التطبيقي التحليلي، دن، ط1، بغداد، 1986.

12. علي بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، دار المعرفة، دط، بيروت – لبنان، دت.

13. مصطفى النواتي، من الرواية الذهنية لدى نجيب محفوظ، مطبعة تونس قرطاج، دط، تونس، 1981.

14. مهدي العبيدي، جماليات المكان في ثلاثيات حنا مينيا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دط، دمشق، 2011.

ج- المراجع الأجنبية المترجمة :

1-م فورستر، أركان القصة، ترجمة لكمال عياد، دار الكرنك، دط، القاهرة، 1960م.

2-آلان روب غريي، نحو رواية جديدة، تر: مصطفى إبراهيم مصطفى، سلسلة دراسات في الآداب الأجنبية، دار المعارف، دط، مصر، دت.

3-الأميرة بديعة الحسيني الجزائري، الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره، تر: أبو القاسم مسعد الله – الأمير عبد القادر، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط1، دم، دت.

4-بورتوف أوئيلية، عالم الرواية، تر: نهار لبنان، دار الشؤون الثقافية العامة، دط، بغداد، 1990.

5- تزفيطان تودوروف، مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، دط، دم، 2005.

6-رولان بارت، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، تر: منذر عيش، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، ط1، حلب (سوريا)، 1993.

7-فيليبهامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمه: سعيد بنكراد، تقديم، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، دم، 2013.

8-ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، دط، بيروت، دت.

د- المعاجم :

- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار القلم، بيروت، دط، 1979.

و- الرسائل الجامعية :

1. حروشوش كريمة أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، الأمير عبد القادر واسهاماته في النهضة العربية بالجزائر وبلاد الشام بين التطبيق والنظري (1832 - 1860)، جامعة وهران.

2. عبد القادر زايز ،دور خلفاء الأمير في بناء الدولة الجزائرية، رسالة ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2009- 2010.

3. هاجر هروال، التنظيم المؤسساتي لدولة الأمير عبد القادر (1832 - 1841)، مذكرة نيل الماستر، الطيب العماري، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2010.

4. هيام اسماعيل، رسالة ماجستير، مخطوطة بجامعة الجزائر.

هـ- المجلات :

1-مسعودي العلمي، تحولات الشخصية الروائية وتفاعلاتها مع الحيز رواية كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج نموذجا، مجلة المقاليد: العدد الثاني، ديسمبر 2012.

2-بوهلالة أمحمد، شخصية الأمير عبد القادر الجزائري في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 14 عدد 4، الجزائر، 2022.

3-خالد سليمان الخلفات، بناء الشخصية في رواية "حمالة القمح"، في محلة كلية الآداب جامعة المنصورة - العدد 62، يناير 2018.

فهرس الموضوعات

الفهرس

شكر 05
مقدمة.....أ-ج
مدخل 11
1ـ مفهوم الشخصية مفاهيم عامة حول الشخصية 11
2ـ بناء الشخصية في الرواية..... 13
3ـ أنواع الشخصيات في الرواية..... 15
4 ـ طرق تقديم شخصيات الرواية 17
5 ـ الشخصية التاريخية..... 18
الفصل الأول: صورة شخصية الأمير عبد القادر في الرواية.....20
1. القائد العسكري 20
2 ـ رجل الدين والأخلاق الإسلامية 34
الفصل الثاني : علاقة شخصية الأمير عبد القادر بالمكان..... 44
1ـ الأمير و المسجد..... 45
2ـ الأمير وساحة المعارك 48
3 ـ الأمير والسجن..... 49
ملحق 57
سيرة مختصرة للأمير عبد القادر الجزائري 58
ملخص الرواية 59
التعريف بالروائي واسيني الأعرج..... 62
الخاتمـــة..... 63
قائمة المصادر و المراجع..... 64
فهرس الموضوعات.....69

تم بحمد الله